روائع العادات البدوية

إعداد

عبد المالك الشرصي
المحامي





بسم الله الرحمن الرحيم

رَوائِعُ
العَادَاتِ البَدَوِيَّةِ

بسم الله الرحمن الرحيم



جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

رقم الإيداع ٢٠٠٤/١٧٩٤٣

الترقيم الدولى

977-331-335-2

دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع ١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - إسكندرية

تليفون وفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ ت: ٥٤٤٦٤٩٦



الإهداء
إهداء إلى أمي الحبيبة
تقديراً وعرفانا

مقدمة

قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ** ﴾ [الحجرات : ١٢] .

وعن أبي هريرة ﷺ قال : يا رسول الله ، من أكرم الناس ، قال : « **أتقاكم** » ، قال : ليس عن هذا أسالك ، قال ﷺ : « **فعن معادن الناس تسألونني ؟ ، خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا** » صدق رسول الله ﷺ .

وإن كان الله عز وجل قد حكم بأن الأكرم هو الأتقى ولو كان ابن ذنجيه ، وإن العاصي محطوط الدرجة ولو كان ابن نبيين .

وإن تعارف الناس بأنسابهم هو غرضًا لله في خلقه ، فوجب بذلك أن يكون علم النسب علمًا جليلاً ، إذ به يكون التعارف بين الناس وارجاع الفروع إلى الأصول .

قال رسول الله ﷺ : « **تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم محبة في الأهل ، مشتراه في المال ، منسأة في الأجل ، مرضاة للرب** » . صدق رسول الله ﷺ .

ولله سبحانه وتعالى في خلقه شئون ولعظيم قدرته آيات ولمواقيته حكمه ، فقد خلق سبحانه وتعالى آدم في يوم جمعة ، ثم نفخ فيه من روحه وأمر الملائكة بالسجود له تعظيمًا لقدره وسموًا لمكانته ، وفي ذلك روى عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم ، وفيه أهبط ، وفيه تيب عليه ، وفيه مات ، وفيه تقوم الساعة ، وما من دابة إلا وهي مصيحة في يوم الجمعة حين تصبح وحتى تطلع الشمس شفقًا من الساعة ، إلا الجن والإنس ، وفيه ساعة لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي ويسأل الله شيئًا إلا أعطاه إياه ، وعلّم الله آدم الأسماء كلها ، وأسكنه الجنّة ، وخلق**

حواء من نفس آدم ، وقال تعالى : ﴿ **وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (٣٥)** ﴾ .

[البقرة : ٣٥] .

فقد حذر الله سبحانه وتعالى آدم من إبليس ، فقال تعالى : ﴿ **فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ (١١٧) إِنَّ لَكَ أَلاَّ تَجُوعَ فِيهَا وَلا تَعْرَىٰ (١١٨) وَأَنَّكَ لا تَظْمَأُ فِيهَا وَلا تَضْحَىٰ (١١٩)** ﴾ [طه : ١١٧-١١٩] .

ولكن إبليس ـ لعنه الله ـ عز عليه ذلك وبلغ منه الحقد مبلغه وأصر على أن يتسبب في إخراجه من نعيم الجنة الذي يتمتع به آدم وزوجه ، فأتاهما في ثوب الصادق المحب ، وحدثهما حديث الناصح الأمين ، قال : ﴿ **يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لاَّ يَبْلَىٰ (١٢٠)** ﴾ [طه : ١٢٠] ، وقال لهما : ﴿ **إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ** ﴾ [الأعراف : ٢١] ، ففتنهما الشيطان وأكلا من الشجرة التي نهاهما الله عنها ، وقال تعالى :﴿ **وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا (١١٥)** ﴾ [طه : ١١٥] .

فأخرجهما الله من الجنَّة وأسكنهما الأرض يتكبدان آلام الحياة عقابًا لهما ، ثم غفر لهما بمنه وكرمه سبحانه وتعالى .

قال صاحب سبائك الذهب : ولد لآدم أربعون ولدًا في عشرين بطنًا ،

وقال العيني : ولد لآدم ثلاثة أولاد ، قين وقابيل وهابيل ، وبعد أن قتل قابيل أخيه هابيل ، ولد لآدم شيث وإليه يرجع العبرثيون نسبهم ، وصار لشيث بنون وعائلات عديدة، ولما توفي آدم عليه السلام وقال شيث لجبريل عليه السلام صلي عليه ، فقال جبريل عليه السلام : تقدم أنت وصلي على أبيك ، فتقدم وكبَّر عليه ثلاثون تكبيرة .

وقال صاحب سبائك الذهب :

لم يمت آدم حتى بلغ ولده وولد ولده أربعين ألفًا ، أما المكان الذي دُفِنَ فيه آدم عليه السلام فيقال أنه غار يدعى غار الكبير في جبل أبي قبيس ، وقد ماتت حواء بعده بسنة واحدة ، ودفنت في نفس الغار إلى وقت الطوفان حتى استخرجهما نبي الله نوح عليه السلام وجعلهما في تابوت ثم حملها معه في السفينة ، وبعد الطوفان أعادهما إلى نفس الغار .

وبعد أن أورد البغدادي نفس هذا القول قال : إنها دفنت في جده ، وقد كان نوح عليه السلام النسل الثامن من ذرية شيث بن آدم ـ عليهما السلام ـ ، وقد تمسكت عائلته بعبادة الله سبحانه وتعالى ما عدا ابنه الذي ذكره الله في كتابه العزيز بقوله تعالى : ﴿ **وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ** ﴾ [هود : ٤٣] .

ولم ينجو من الطوفان مع نبي الله نوح إلا من تمسك بعبادة الله عز وجل ، أما من ضل عن السبيل وانشغل عن طاعة الله وسلك طريق الرذيلة والفجور ، واتبع طريق الحائرين الضالين ، فكان جزاءه أن صار من المغرقين .

وقيل أن نوح عليه السلام لما نزل إلى الأرض بعد الطوفان قام ببناء قرية أسماها قرية الثمانين ، وذلك على عدد اللذين خرجوا من السفينة وهي الأن تسمى سوق الثمانين .

وهكذا أخذ نسل آدم عليه السلام ينتشر في الأرض ، فقد هيأ الله سبحانه وتعالى لعباده كل مقومات الحياة وسُبل العيش على كل جزء من أجزاء المعمورة ، فلو تأملنا خلق الله المعجز والغاية في الدقة والنظام ، لكان لزامًا علينا أن نتيقن أن الحق تبارك وتعالى لم يخلق شيئًا عبثا ولم يحرم عباده وفير العطاء والهدى ، لذا كان حقًا علينا ألا نترك سُدى ، وأن نتلمس في سبيلنا طريق الخير والرشاد .

وهذه البسيطة بسهولها وبحارها وأنهارها ووديانها وجبالها ، وما عليها وما

بها من خيرات ، إنما قد سخرها الله سبحانه وتعالى لحياة الإنسان ومعيشته ، فما أعظمها من قدرة وما أكثرها من نِعم .

وخلاصة القول ومجمله :

أنه ومنذ أن خلق آدم عليه السلام أخذ بني آدم ينتشرون في الأرض ويأكلون مما تنبت وكان لكل مكان وزمان عاداته وتقاليده ، وظل الإنسان يتكاثر وينتشر حتى وقتنا هذا ، وذلك غرضا للحق سبحانه وتعالى في خلقه .

فالجميع من نسل آدم عليه السلام الذي أُهبط إلى الأرض ليتناسل ولده وليكثر نوعه ، وذلك إعماراً للكون وانتشاراً لبني آدم .

وبالرغم من اتساع رقعة الأرض التي نعيش عليها ، وبالرغم من اختلاف المكان والزمان والعادات والتقاليد وسواء كان الإنسان يعيش في جزيرة تزمانيا في الشرق الأقصى بجنوب شرق استراليا،أو يعيش في الغرب الأقصى بشمال كندا ، فلا شك أن الجميع من نسل آدم عليه السلام ، « **كلكم لآدم ، وآدم من تراب** » .

فلو تأملنا في خلق الله سبحانه وتعالى لعباده من بني الإنسان لأدركنا عظمة الحق تبارك وتعالى وقدرته اللا محدودة ، فهو على كل شيء قدير ، ولو أمعنا النظر والتأمل في كوكب الأرض الذي نعيش عليه لوجدنا أن كل بقعة من بقاع المعمورة تتميز بنمط حياتي معين ، بل ويميزها عن غيرها من البقاع الأخرى مع أن الجميع يعيشون في كوكب واحد ، وبالرغم من ذلك نقرأ ونسمع ونشاهد كل يوم عن عجائب وغرائب وأشياء وعادات مثيرة ومؤثرة .

ومن بديع صنع الله سبحانه وتعالى أن لكل بقعة من بقاع الأرض ، ولكل شعب من شعوبها أسلوب حياتي معين وسمات وأشكال معينة ، وعادات وتقاليد خاصة ، اكتسبها الإنسان من الظروف والبيئة التي يعيش فيها ، فيتأثر بها ويؤثر فيها سلباً أو إيجاباً .

فالإنسان الذي يعيش في الأرض الخصبة وبجوار الأنهار والمنحدرات المائية ، فهو لا شك أكثر حظًا من ذلك الذي يعيش في المناطق القطبية ، كالإسكيمو مثلاً .

فالأول قد جادت عليه الطبيعة بما يشتهي ، أما الثاني فهو في صراع دائم مع الطبيعة ، باحثًا عن الطعام ومقاومًا لمناخها القاس ، فأقصى أمانيه في تلك الطبيعة القاسية هو صيد الأسماك أو أحد الحيوانات القطبية ، التي يتغذى عليها أو يستخدمها كوسيلة للمواصلات .

وخلاصة ذلك :

أنه على كل جزء من أجزاء الأرض الزاخرة بنعم الحياة أسلوب ونمط حياتي معين ، وظروف بيئية ومناخية تنعكس على أولئك الذين يعيشون على كل جزء من أجزاءها .

فاليابانيون مثلاً ، لهم عادات وتقاليد اجتماعية يختص بها الشعب الياباني وحده ، فالمصافحة باليد مثلاً والعناق غير موجودة عند اليابانين ، لأن المصافحة عندهم فقط بالانحناء قليلاً ، وهو نوع من أنواع التحية حتى ولو كان المتصافحين لم يلتقيا منذ عشرات السنين ، وكذلك في الهند فالتحيةشكل مميز عن تلك التي ألفناها في بعض الدول الشرقية ، ومنها مصر ، وكذلك في السودان ، فاخواننا في السودان طريقة خاصة في المصافحة ، وعندنا في جمهورية مصر العربية أيضًا لابد أن تكون المصافحة باليد والأحضان والعُبط واذيك بجا .

ومن الغريب أيضًا في اليابان وبعض دول شرق أسيا الطريقة في تناول بعض الأطعمة ، كالأرز مثلاً ، فمن المعروف عن الشعب الياباني أنه يلتهم كميات كبيرة من الأرز ، والغريب أنه يتناولها بالعصى ، فنحن في مصر مثلاً نستخدم الملعقة لذلك ، وهم هناك في اليابان يستخدمون العصى .

فتخيل يا عزيزي أنك دعيت ذات يوم من قِبل صديق لك من اليابان على وجبة غذاء يابانية ، وكانت عبارة عن أرز قد تم طهيه بأكثر من طريقة ، وبدلاً من أن توضع أمامك معلقة وضعت أمامك العصى واتفضل كل يا بطل وورينا الهمة .

وفي بعض دول شرق آسيا وأوروبا يأكلون لحوم الخيول ويعتبرونها من أشهى اللحوم ، ونحن في البلاد العربية والإسلامية وكثير من بلاد العالم لا نقدم على ذلك ، فنحن لم نتخيل على الإطلاق أن تنظر إلى الحصان على أن يكون لحمه وجبة رائعة ، لأن الحصان لا يعني لنا إلا أنه حيوان جميل ورقيق ، وأن اقتنائه يعتبر نوعًا من أنواع الزينة والشياكة ، ونحن على حق في ذلك ، وذلك لقوله تعالى : ﴿ **وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لا تَعْلَمُونَ** ﴿٨﴾ ﴾ .

[النحل : ٨] .

وفي دولة مثل الفلبيين مثلاً يأكلون لحم الكلاب ، ونحن في مصر ومعظم دول العالم لا ننظر إلى الكب إلا على أنه حارس أمين .

وكذلك في بلاد إفريقيا تلك القارة السوداء والتي تذخر بالعادات والتقاليد وذلك لكونها عبارة عن قبائل عديدة ، لذا فإن العادات والتقاليد في القارة الإفريقية تتعدد بتعدد القبائل ، ففي بعض البلاد الإفريقية مثلاً نجد أن هناك من يأكلون لحم القرود ، بل ويعتبرونها من أشهى الأطعمة ، ويقيمون لها الولائم الفاخرة ، ولا يستخدمون الألة الحادة في ذبحها ، بل يقتلونها صعقًا بالكهرباء حتى تموت ، فإذا ماتت صارت لحمًا بطعم القرود ، فتخيل يا عزيزي حلاوة لحم القرود على الملوخية ، أو مدى القيمة العالية للشوربة الخاصة بها ، تخيل فقط لن تخسر شيئًا .

كل ذلك يحدث في بعض البلاد الإفريقية ، ونحن هنا في مصر والحمد لله

وجميع بلاد الوطن العربي تتشائم من مجرد رؤية القرود . . . .

وفي إفريقيا أيضًا وفي دولة مثل الكنغو نجد أن النساء يضعن ما يشبه الحلق في الأنف بدلاً من الأذن ويعتبرنها نوعًا من أنواع الحلي .

ويقول جون ايلدرد في زيارته إلى بابل عام ١٥٨٣ وهو يصف أهل بابل في ذلك الحين : أن النساء في بابل عامة يرتدين في فتحة من أنوفهن خاتمًا كخاتم الزواج ، وإن كان أكبر قليلاً مثبت به لؤلؤة أو حجر كريم ، ويفعلن ذلك مهما كن فقيرات .

والغريب والعجيب أن المرأة البدوية كانت ولا زالت في بعض المناطق تفعل نفس الأمر وترتدي ما يشبه الحلق في أنفها ، وهو ما يسمى عند عرب البادية « الشناف » والرائع أيضًا أن المرأة بالكنغو ومثيلتها في بابل القديمة والبدوية في مصر جميعهن يعتبرن هذا الأمر نوعًا من أنواع الحلي الذي تتجمل به المرأة ، وذلك بالرغم من أن البدوية المصرية لم ترى ولم تعرف ولم تراسل ولم تشاهد الافريقية أو البابلية القديمة ، ولم يصل إلى علمها ذلك بأي وسيلة من وسائل المعرفة ، ولم تشاهد عرضًا للحلي على شاشات التليفزيون ، وذلك لسبب بسيط جداً ، هو أنه لم يكن هناك لا تلفزيون ولا حتى فيشة في ذلك الوقت .

ويقول جان بابتست عن عادة قديمة بين عبدة الأوثان بالهند :

أنه حين يموت الرجل لا تستطيع أرملته أن تتزوج مرة أخرى أبداً ، وبمجرد أن يموت تتفرغ للبكاء على زوجها ، وبعد عدة أيام يقصون لها شعرها وتجرد نفسها من كل الحلي التي كانت تتزين بها وتقوم بخلع الأساور التي وهبها لها زوجها عندما تزوجها ، وذلك كعلامة على تسليمها له وتبقي حياتها دون أن اعتبار بل وأسوأ من حالة العبيد في حين كانت من قبل السيدة وهذه الحالة تجعلها تكره الحياة وتفضل الذهاب لمحرقة الجنازة كي تموت حية مع جثة زوجها الميت .

ففي مملكة جوجارات يقول جان بابتست : يتم جمع الحطب ويتم إعداد كومة حرق تشبه السرير بوسادة من البوص والحطب الصغير ومعها توضع قدور الزيت والسوائل الأخرى للمساعدة في إحراق الجسد بسرعة وتتقدم الطبول والمزامير تلك المرأة الضحية ومزينة بأبهى جواهرها تأتي وهي ترقص نحو كومة الأحراق وتصعد فوقها وتأخذ وضع نصف الجلوس والركوع وتوضع جثة زوجها على ركبتيها ، ويقوم أصدقاءها وأقاربها بإحضار أشياءهم لها فأحدهم يعطيها خطاباً ، والآخر يعطيها قطعة من القماش ، والثالث زهوراً ، والرابع قطعًا من الفضة أو النحاس طالبين منها أن تسلم هذه الأشياء لأقاربهم من الموتى .

وعندما ترى المرأة أن الموجودين لا يقدمون لها المزيد تسألهم إذا ما كان لديهم أي تكليفات أخرى ، وتكرر ذلك ثلاث مرات ، وإذا لم يجيبونها تقوم بلف كل ما أحضروه في قماش حريري وتضعه بين وسطها وبين ظهر جثة زوجها الميت منادية الرهبان لإشعال النار في كومة الاحراق ، فيقوم البراهمة والأقارب معًا بذلك حتى تتحول الجثث إلى رماد .

وهناك أيضًا عادة شريرة يمارسها الوثنيون أيضًا في مملكة البنغال ، إذ عندما تضع المرأة طفلاً ويعزف الوليد عن الرضاعة أو يمتنع عنها ـ من صدر أمه ـ يحملونه خارج القرية ويضعونه في قطعة من القماش تربط من أركانها الأربعة في أفرع الشجرة ويترك فيها الوليد هكذا من الصباح وحتى المساء ، وفي هذا الوضع يتعرض الطفل المسكين للغربان التي تنهش جسده الضعيف .

وقد وجد بعضهم مفقوئي الأعين ، ويقول جان بابتست : أن هذا هو السبب في أننا نرى العديد من الوثنيون بالبنغال ليس لهم سوى عين واحدة ، والبعض الآخر الذي جرحت أعينهم أو تم فقدها ، وفي المساء يوخذ الطفل لاختباره ، فإذا رغب في الرضاعة كان آمنًا ، وإلا أعيد إلى حيث الغربان وهوام

الليل والنهار .

غريب ذلك العالم الذي نعيش فيه ، وعجيب أمره وجل غرابته وعظيم عجائبه يكمن في التنوع المحير أحيانًا ، والذي يدعو إلى الشفقة أحيانًا أخرى لعاداته وتقاليده .

وفي البلاد الأوروبية أو ما نسميه نحن الشرقيون بلاد الغرب ، هناك ذبحت التقاليد والعادات ، وأصبح الجميع يعيشون على النظريات الفلسفية والشعارات التحررية ، والتي اختلط في ظلها الحابل بالنابل وأصبح النساء والفتيات فيها كالرجال في كل شيء ، لا مقياس ولا رقابة ولا ضبط ولا ربط ، فليس هناك ما يسمى حرام أو غير مباح .

فالمرأة هناك تعرت تمامًا ، وأصبحت سلعة تباع وتشترى ، وأصبح جسدها أرخص من الملح في جمهورية مصر العربية ، وأصبح الناس هناك يعبدون النظريات ويستخدمونها أسواء استخدام ، وأصبح الجميع يلهب وراء المتعة والرذيلة ، لا تمنعه عنها عقيدة ولا ترجعه عنها عادات أو تقاليد ، ولا ترده خيفة أو صلة رحم ، ونظرية « إذا استطعت الحصول على اللبن فليس من الضروري أن تقتني البقرة » ، هذه النظرية استخدمونها أسوأ استخدام فتجد أن شبابهم وفتياتهم يعيشون سويًا في فراش واحد يمارسون حياة الأزواج وهم ليسوا بأزواج ، وينجبون الأطفال وعلى عينك يا تاجر .

وكل ذلك بالنسبة لهم شيء عادي ، بل أن الإبنة تعاشر صديقها في منزل والدها على الرحب والسعة .

ويحضرني في ذلك أن أحد الأصدقاء كان يعيش لفترة طويلة في إحدى الدول الغربية ، وأقسم لي أن شقيقان كاد أن يقتل أحدهما الآخر على فتاة تحمل في بطنها طفلاً وكل منهما يدعي أنه طفله هو ، وذلك لكثرة معاشرة كل منهما

لهذه الفتاة .

فأي تحطيم للقيم هذا ، وأي قلب للموازين وانحطاط للأخلاق ، ذلك الذي نسمعه ونشاهده عن أولئك الذين يدعون التقدم والتطور ، اللهم إن كان هذا هو التقدم والتطور والحرية ، فلا تكتبها لعبيدك المسلمين الطاهرين الشرفاء .

وفي دولة مثل السويد مثلاً ، الفتيات لا يقبلن على الزواج قبل سن الثلاثين وذلك حتى تستمتع الفتاة بالفراش وبالمراهقين .

ناهيك عن زنا المحارم في معظم دول الغرب ، الولد مع أمه ، والأخ مع أخته ، والخال مع ابنة شقيقته ، وهكذا فقد دلت إحصائية أن حوالي ٤٪ من الأمريكيين يمارسون زنا المحارم .

ولكن كل ذلك ممنوع ومحذور عندنا نحن الشرقيون ، وترفضه كل قطرة من دماءنا وتقشعر لسماعه أبداننا ، وتثور له رجولتنا وتأباه معتقداتنا وعاداتنا وتقاليدنا ، ومجمل ذاك أنه وبالرغم من أن الجميع من نسل آدم عليه السلام ، والجميع يعيشون على كوكب واحد ويتنفسون نفس الهواء ويظلهم سماء واحدة ، وتطل عليهم شمس واحدة ، إلا أنه عالم ذاخر بالتنوع في العادات والتقاليد وأن لكل جزء من أجزاء الأرض تقاليد وعادات ومعتقدات تميز شعبه عن غيره من الشعوب ليس ذلك فحسب بل أنه لكل دولة من الدول سمات وتقاليد وعادات معينة قد لا تجدها في دولة أخرى وقد تكون تلك الدولة جارتها .

فمثلاً في وطننا العربي الكبير وبالرغم مما يتمع به من مقومات تجعله - أو من المفروض أن تجعله - أشد التحامًا وأكثر ترابطًا مثل الدين الإسلامي والقومية العربية واللغة والجوار ووحدة الظروف البيئية والمناخية .

ولو أخذنا في الاعتبار إحدى هذه المقومات مثل اللغة العربية لوجدنا أن الوطن العربي من المحيط إلى الخليج يتحدث لغة واحدة وهي اللغة العربية ومع

ذلك فإننا نجد في الوطن العربي العديد من اللهجات كثيرة ومختلفة فمثلاً اللهجة التي يتحدث بها إخواننا المغاربة في المملكة المغربية تختلف ولو بشكل بسيط عن تلك التي يتحدث بها اخواننا في الجمهورية الجزائرية ، وكذلك التونسية والجماهيرية الليبية وكلها تختلف عن اللهجة التي يتحدث بها أهالي وادي النيل وكذلك عن اللهجة التي يتحدث بها إخواننا في منطقة الخليج العربي فبالرغم من أن الوطن العربي وطن واحد وذو صبغة واحدة ويتحث اللغة العربية الأم لغة واحدة إلا أن لكل دولة عربية لهجة معينة تميزها عن غيرها من اللهجات فإذا تحدث إليك مواطن من دولة عربية معينة عرفت وللوهلة الأولى لأي دولة ينتمي ذلك المتحدث ، وذلك من خلال تعرفك على اللهجة التي يتحدث بها .

فمثلاً لو قلت : « نريد أن نقرأ هذا الكتاب » .

فإذا استخدمت في ذلك اللغة العربية الأم فلا خلاف حول ذلك ، ولكن إذا استخدمت لذلك اللهجات فهنا يظهر تميز واختلاف كل لهجة عن غيرها .

- فالمواطن المصري مثلاً يقول هكذا : « عايز اءرأ الكتاب ده » .
- وفي الشام في لبنان أو سوريا مثلاً يقول هكذا: «بدنا نأرا الكتاب هيدا » .
- أما في السودان فتقال هكذا : « اهنا أوزين نوجروا الكيتاب داهوو » .
- وفي شبه الجزيرة العربية تقال هكذا : « نبغي تقرأ الكتاب هاضا » .
- وفي الجماهيرية الليبية تقال هكذا : « نبوا تقروا الكتاب هاضا » .

وهكذا تختلف اللهجات باختلاف الدول العربية وبالرغم من أن الجميع يتحدث اللغة العربية .

ولا يقف الأمر عند هذا الحد ، بل إنه وفي الدولة الواحدة لهجات عديدة أيضًا ، وعادات وتقاليد مختلفة ، وذلك بالرغم من أن الجميع يعيشون في دولة واحدة وإقليم واحد ويخضعون لنفس القوانين والتشريعات ، فمثلاً في جمهورية

مصر العربية نجد أن هناك اختلاف في اللهجات بين أبناء الشعب المصري وإن قل هذا الاختلاف .

فإخواننا في صعيد مصر لهم لهجة معينة ، فإذا تحدث إليك مواطن من صعيد مصر فيكون من السهل عليك أن تعرف أنه من أبناء الصعيد ، وكذلك فإن لأهالي الريف المصري لهجة خاصة أيضًا وكذلك الدمياطي والنوبي والبورسعيدي والفيومي .

وأيضًا لأهالي مرسي مطروح من أبناء البادية لهجة خاصة ، بل ومتميزة عن أي لهجة في الوطن العربي بأثره وهو موضوع هذا الكتاب ، فالعرب البادية في مختلف أنحاء جمهورية مصر العربية عادات وتقاليد ، وكذلك لهجة بدوية معينة ينفرد بها البدوي عن غيره على مستوى الوطن العربي .

فالعادات البدوية عادات أصيلة وعريقة ، وأن البدوي شديد التمسك بهذه العادات التي ولدت معه ولا زالت تلازمه طالما كانت الحياة .

واحسبني لا أبالغ إذ قلت : أن تلك العادات البدوية هي الأصالة بعينها ، وقد تبدو هذه العادات والتقاليد من الغرائب لأول وهلة وأرى أن غرابتها تكمن في جهل غير البدوي بها ، وكذلك فإن اللهجة البدوية السليمة والصحيحة لا يمكن لغير البدوي أن يتحدثها وهو أمر لا يمكن أن يختلف عليه اثنان ، وهذا بلا شك يتضح لنا في مدى الفشل الزريع لبعض الأعمال السينمائية أو التليفزيونية من أفلام ومسلسلات وخلافه ، والتي يحاول فيها القائمين على هذه الأعمال التعبير عن الحياة البدوية .

وأقول بمنتهى الأمانة وأسجل مسئوليتي عن ذلك :

أن أي عمل من هذه الأعمال كان أو سيكون لن يكون مصيره سوى الفشل الزريع ، ذلك لأن العادات البدوية لا يمكن أن يعبر عنها إلا البدوي نفسه

واللهجة البدوية لا يمكن أن يتحدثها سوى البدوي حتى ولو كان حاصلاً على درجة الدكتوراة في مجال الانثربولوجي لأن الدراسات المكتبية والأكاديمية لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تتحدث عن الحياة البدوية كما وأن أساتذة الانتربولوجي بل ومن منحوهم شهادات الدكتوراة في هذا المجال ، وكذلك المراجع والمؤلفات التي يستقون منها ثقافتهم في هذا المجال ، لم ولن بل ويستحيل عليها أن تتوصل إلى فهم الواقع البدوي الفهم الصحيح ، لأنها مجرد دراسة نظرية وسمعية ليس لها أي علاقة بالواقع البدوي ، ليس ذلك فحسب ، بل أننا قد نجد أن واضعي المراجع لم يطلعوا على الحياة البدوية لا من قريب ولا من بعيد ، ولم يعرفوا عنها سوى تلك المؤلفات التي تعودوا على قرائتها وبنوا ثقافتهم عليها ، ولا يهمه بعد ذلك إن كانت مستقاه فعلاً من واقع الحياة البدوية أم لا ، بل والطريف أيضًا أن غير البدوي حتى لو اطلع على العادات البدوية وحاول أعوامًا عديدة أن يتعلم اللهجة البدوية فإنه لن يفلح في ذلك وهو أمر غاية في الغرابة والدهشة ، فمن يريد أن يتعلم إحدى اللغات كالإنجليزية أو الفرنسية مثلاً ، فقد يتعلم ذلك في غضون فترة من الزمن ، أما غير البدوي يستحيل عليه تعلم اللهجة البدوية والإلمام بها ولو ظل على ذلك مئة عام ، وهذا الأمر ليس فيه أي زيادة أو مبالغة .

عزيزي القارئ :

أرجو أن تغفر لي استغراقي في هذه المقدمة ، فما قصدت من ذلك إلا أن أجعلك مهيأ تمامًا لاستيعاب هذا المؤلف الصغير ، فهيا معي لنتعرف بالفعل على الحياة البدوية عن قرب ، تعالى معي لكي نسبح في خضم العادات البدوية الأصيلة ونتبعها أينما كانت ، فقد نذهب إلى الصحراء أو الوادي أو فوق سفوح الجبال ، وربما يكون ذلك في الشتاء القارص أو في فصل الصيف شديد الحرارة ، وربما اسبح بك في أعماق التاريخ لمئات من السنين ولكنني أيضًا قد أعود بك

إلى مدينة ساحرة ، قد تكون تلك المدينة مرسي مطروح أو الاسكندرية ، أو ربما باريس .

فنحن لا يعنينا المكان بقدر ما يعنينا تعقب البدوي أينما يعيش لنتعرف على عاداته وتقاليده ، لنؤكد أن المكان والزمان مهما اختلفا أو تغيرا فإن يد الحدثان لا تنال من عادات البدوي وتقاليده فهو غاية في الحرص عليها شديد التصدي لما يمس ما قد تعود عليه وألفه وسواء كان ذلك البدوي يعيش في بيت من الشعر « بيت الربيع - بيت العرب » سواء كان يعيش في بيت من الشعر تحيط به الأغنام والماعز والإبل ، أو يعيش في ڤيلا فاخرة تحيط بها الأشجار والورود وسواءًا كان ذلك البدوي راعي أغنام أو شخصية قيادية مرموقة ، فالإثنان أشد التزامًا وأكثر حرصًا على العادات والتقاليد البدوية .

واحسبني إنني لست مبالغًا إذا قلت أن الله سبحانه وتعالى قد وهب البدوي ذكاءًا فطريًا غريبًا فهو سريع التأقلم مع ما يحيط به وذو بديهة حاضرة ، فلو تخيلنا مثلاً أن هناك بدويًا يعيش في صحراء بعيدة ، ولم تصل إليها يد الحداثة بعد ولا يعرف من الحياة سوى الأمطار التي تنهمر في فصل الشتاء ، فتملأ أباره وتروي زراعته ويشرب وتشرب منها أغنامه وإبله ، ولا يعرف زيادة عن قطعان الإبل والأغنام يشرب ألبانها ويأكل من لحومها ويشتري ويبتاع من خلالها ، ومع ذلك فهو صاحب الذكاء الفطري الغريب ، فهو قد لا يحمل الساعة ليتعرف على الوقت من خلالها ، ولكنه يصلي بواسطة قياس الظل ، ويتنبأ بالمطر من خلال السحاب ، ويعرف الإمساك عن الطعام في شهر رمضان من خلال النجوم ، ويعرف اتجاه الرياح بواسطة حفنة من الرمال ، يرفعها بيده ويتركها في الهواء فإن اتجهت جنوبًا كانت شمالية ، وإن اتجهت غربًا كان الرياح شرقية ، وهكذا .

هذا البدوي الذي يعيش في هذه الصحراء القاحلة والقاسية ، إذا ما شاءت الظروف وساقته أقدامه إلى المدينة بسحرها وزحامها وشوارعها الصاخبة التي لم يتعود عليها ، ورأى ما لم يألفه وسمع ما لم يسمعه ، فليس من السهل عليك أن تبيعه الطرماي أو أحد قطارات السكة الحديد ، فهو ذكي بالفطرة بالرغم من أنه لم يرى المدينة قبل ذلك .

وبما خلص وبما سنخلص إليه أدعوك يا عزيزي لزيارة الواقع البدوي عن قرب بلا مبالغة أو تحيز ، فقد تستغرق هذه الزيارة بعض القوت فأتمنى أن تكون زيارة مفيدة وشيقة ، فأهلاً وسهلاً بك أو على حد تعبير البدوي : مرحبتين ...





الباب الأول

المنـــزل البـــدوي

الباب الأول

المنـــزل البـــدوي

المنزل هو كل مكان يقيم فيه الإنسان ويجعل منه مأمنه ويأتمن فيه على نفسه وماله وولده وكل مكان نزل به الإنسان ، واتخذه مأمنًا له واستقر به صار منزلاً له ، والمنزل البدوي يختلف باختلاف الأحوال والظروف والبيئة التي يقيم فيها البدوي ، فإذا كان يقيم في الصحراء فإن بيت الشعر أي بيت العرب أو بيت الربيع كما نسميه نحن أبناء البادية ، هو منزلة ، وإذا كان يقيم في المدينة فإن المنزل البدوي من الخارج قد لا يختلف كثيرًا عن المنزل العادي في مصر ، إلا أنه في الداخل يختلف كثيراً .

فإذا كان البدوي يقيم في الصحراء لظروف الرعي أو زراعة وضم بعض المحاصيل مثل الشعير أو الزيتون أو ما شابه ذلك من المحاصيل الزراعية ، فإن بيت الشعر هو الأنسب لهذه الإقامة ، وذلك لسهولة الانتقال والتنقل وذلك لأن بيت الشعر أو بيت العرب يمكن تفكيكه ونقله من مكان إلى آخر لضم المحاصيل الأخرى أو تغيير المراعي ، أو البحث عن ينابيع المياه ، لذلك فإن بيت الشعر في هذه الأحوال هو الأنسب والأكثر ملائمة لهذه الحياة الصحراوية .

وبيت الشعر هو عبارة عن : خيمة كبيرة لا يستطيع صناعتها إلا البدوي نفسه ، ويتم صناعة بيت العرب من القماش السميك ، وقد تصل مساحة البيت الواحد إلى أكثر من مئة متر مربع ، ويقام على مجموعة من الأخشاب ، هذه الأخشاب جميعها لها مسميات يعرفها البدوي ، كما يعرف أسماء أبناءه ولا يجهل منها شيئًا .

وبيت الشعر يقام على أساس عمودان في منتصف البيت يشكلان العمود الفقري له ، ويشكلان أعلى ارتفاع لبيت الشعر،ويسمى كل من هذان العمودان « الجبر » وعلى جانبي بيت الشعر نجد ما يسمى الكم ويتم ربط هذا البيت بأربعة عشر رباطًا من الحبال السميكة وتسمى عند عرب البادية أربعة عشر رمة .

ويتم إغلاق بيت الشعر بقماش من جميع الجوانب هذا القماش تم حياكته بشكل زخرفي وهندسي غاية في الدقة ويسمى الرواق ، والغريب أن بيت الشعر البدوي وبالرغم من أنه مصنوع من القماش ومقام على بعض الأخشاب ومثبت بالحبال أو الرمم الأربعة عشر إلا أنه يتحمل ما يتعرض له من مناخ الصحراء المتقلب الذي يأتي بالرياح العاتية أحيانًا والأمطار الغزيرة أحيانًا أخرى والرمال والأتربة الخانقة في أغلب الأحيان .

هذا إذا كان البدوي يعيش في الصحراء كما هو حال معظم أبناء البادية ، أما إذا كان البدوي يعيش في المدينة مثل مرسي مطروح أو الاسكندرية أو حتى نيويورك ، فإن المنزل البدوي يختلف من الداخل عن أي منزل في العالم ، بالرغم من أنه قد يتشابه مع غيره من المنازل العادية في بلدنا مصر أو غيرها ، فالمنزل البدوي لابد أن تخصص به غرفة وعلى أن تكون هذه الغرفة هي أكبر الغرف في المنزل وهذه الغرفة تسمى عند عرب البادية « المربوعة » هذه المربوعة هي عنوان المنزل البدوي .

ويتم فرش المربوعة حسب مقدرة صاحب المنزل وفي أغلب الظروف يتم فرشها بالسجاد أو الموكيت وذلك لإعدادها للجلوس أرضًا ، ذلك لأن البدوي لا يشعر بأي نوع من أنواع الراحة إلا إذا جلس أرضًا ، وأنه لا يشعر بذلك عند الجلوس على الأرائك العالية ، وذلك بحسب ما تعود عليه وألفه ، والمربوعة بمثابة أساس للمنزل البدوي يستقبل فيها ضيفه ويقضي فيها يومه ، والبدوي

الذي لا توجد في منزله هذه المربوعة قد يتعرض للسخرية من الآخرين من عرب البادية ، وقد يتهم بأنه لا ينتمي إلى أصل بدوي عربي ، والمربوعة خاصة بالرجال فقط ، ولا يجوز للمرأة أو البنت دخولها أو الاقتراب منها ، أو المرور أمام أبويها إذا كان هناك رجال بها .

وإذا كانت المربوعة هي المكان الذي يستقبل فيه الرجل ضيفه ويشعر فيها براحته عندما يجلس بها أو يستقبل زائريه .

كذلك فإن صالة المنزل البدوي تخص المرأة البدوية فتقض فيها المرأة البدوية يومها ، وتستقبل فيها زائراتها ولا يجوز للغرباء من الرجال دخولها أو حتى الاقتراب منها .

فالمنزل البدوي في المدينة أو على أطراف المدينة قد يكون قصرًا أو فيلا صغيرة أو شقة أو غير ذلك ، إلا أنه من الداخل لابد له من تلك الخصوصية التي ذكرناها والتي يتميز بها المنزل البدوي عن غيره من المنازل .





الباب الثاني
الضيــــف البــــدوي

الباب الثاني

الضيـــف البـــدوي

للضيافة واستقبال الضيف في المجتمع البدوي طقوس خاصة قد لا تجد لها مثيل في مختلف أنحاء العالم ، فالبدوي إذا حلَّ عليه ضيفًا فإن هذا الضيف يكون أحد صنفان من الضيوف :

الصنف الأول : هو أن يكون ذلك الضيف في زيارة لمضيفه للمرة الأولى .

الصنف الثاني : أن يكون هذا الضيف قد سبق له زيارة مضيفة من قبل .

فبالنسبة للصنف الأول وهو أن يكون الضيف في زيارة لمضيفه للمرة الأولى فإن المضيف إذا كان يعرف ضيفه فلا جدال في ذلك .

أما إذا كان لا يعْرفه فما عليه إلا أن يسأله من هو وما هي قبيلته وعندما يذكر الضيف لمضيفه اسم القبيلة التي ينتمي إليها صار ضيفًا على مضيفه وجب إكرامه ،ذلك لأن البدوي يعرف جميع القبائل البدوية ولا يجهل منها أي قبيلة ، وسواءًا كان ذلك البدوي صغيرًا أو كبيرًا ، عندئذ يجد المضيف نفسه أمام القيام بمراسم الضيافة ، فلابد له من أن يقوم بذبح شاة لمضيفه ، على أن يقدم له منها طعامه ، والغريب أن هناك جزءًا من الشاة إذا لم يقدمه المضيف إلى ضيفه ويضعه أمامه ، فإذا لم يقوم المضيف بذلك يعتبر وكأنه لم يقوم بواجبات الضيافة .

هذا الجزء من الشاة والذي يلزم تقديمه للمضيف هو « الساق » أي ساق الشاة بالكامل ، لابد أن يوضع أمام الضيف وذلك إكرامًا له ، وتأكيداً له على أن المضيف قد نحر له شاة إكرامًا له وتقديرًا لقدومه وزيارته له .

أما الصنف الثاني من الضيوف وهو أن يكون الضيف قد قام بزيارة سابقة لمضيفه فهنا لابد للمضيف أن يقوم بواجبات الضيافة على أكمل وجه ، ولكن

ليس من الضروري أن يقدم له شاه ، بل يقدم له ما يستطيع تقديمه من الطعام وليس لزامًا عليه أن يذبح شاه أو يقدم ساقًا لأنه قد سبقت له الزيارة ، وقد نال هذا الشرف في المرة السابقة ، وإذا ما قام المضيف بزيارة ضيوفه كان لزامًا عليهم إكرامه والقيام بما قام به نحوهم دون أي تقصير أو تخاذل .

وهناك مثل بدوي يقول بخصوص هذا الأمر ، يقول المثل :

« اللي يذبح لك يذبح لك من غنمك » .

ومعنى هذا المثل أن من يذبح لك شاه إكرامًا لك فكأنه يقوم بذبحها لك من أغنامك أنت ، ذلك لأن مضيفك إذا ما بادلك الضيافة ، كان لزامًا عليك أن تذبح له نفس الشاة .

والأمر الذي يعنيه المثل أن الشاة التي ذبحت لك ستقوم بذبحها لمضيفك ، الأمر الذي يؤكد التفاني في إكرام الضيف ويبذل قصارى الجهد للقيام بواجبات الضيافة مهما كان الأمر شاقًا وباهظ التكاليف ، وتلك هي العادات البدوية .





الباب الثالث

الزواج عند عرب البادية

الباب الثالث

الزواج عند عرب البادية

للزواج البدوي أربعة مراحل :

- **المرحلة الأولى : الخلطة « الخطوبة » .**
- **المرحلة الثانية : الملم « الزفاف » .**
- **المرحلة الثالثة : الذروة « الزيارة » .**
- **المرحلة الرابعة : فك العقال .**

لابد أن يمر الزواج عند عرب البادية بأربعة مراحل ، تلك المراحل تعتبر بمثابة أركان الزواج البدوي ، وهذه المراحل الأربعة تبدأ بالخطبة ، وهي تسمى عند عرب البادية « الخلطة » ، والمرحلة الثانية : مرحلة الملم ، أي أن يلتئم الطرفان في ذلك اليوم وهو يوم الزفاف والذي يسمى عند عرب البادية يوم الملم ، ثم يأتي ما يسمى الذروة،وهي زيارة العروس لأسرتها بعد أسبوع من الزواج والمرحلة الأخيرة في مراحل الزواج البدوي،هي ما يسمى عند أبناء البادية « فك العقال » .

وسنقوم ببيان ذلك على النحو التالي :

أولاً : الخلطة « الخطوبة » :

الخلطة أي الخطبة أو الخطوبة، وهي المرحلة الأولى من مراحل الزواج البدوي، وتسمى الخلطة ، ويعني ذلك أن عائلة فلان قد اختلطت بعائلة فلان ، أو أن قبيلة كذا قد اختلطت بقبيلة كذا، وصار بينهما نسبًا ،وانتسب كل منهما للآخر، أي صار اختلاطًا ،والخلطة والخطبة تسمى عند عرب البادية أيضًا السياج .

وتأتي الخلطة بعد أن ترغب العائلة في تزويج نجلها ، فالأم قد تقوم باختيار

إحدى الفتيات وترشحها لتكون عروسًا لولدها ، وقد يشاهد الشاب هذه الفتاة من بعيد في مكان ما ، كأن يكون مورد المياه أو أحد الأماكن العائلية مشاهدة عابرة ودون اختلاط .

المهم أنه وبعد أن يقرر أهل الخطيب أن فلانة ابنة عائلة فلان هي التي وقع عليها الاختيار تقوم الأم بنقل هذا الأمر إلى الأب باعتباره المتصرف الوحيد والمتفرد في شئون المنزل ، وتخبره أم العريس بأنها قد رشحت لولدها عروس تنتمي لعائلة فلان .

فإذا وافق الأب على هذا الاختيار كان عليه أن يرسل إلى عائلة العروس طالبًا ذلك ، فإذا حدث ذلك فإن الرد المألوف والطبيعي عند عرب البادية وعند أهل العروس بخصوص هذا الشأن أنهم يطلبون من المتقدم لخطبة ابنتهم أن يمهلهم بعض الوقت ، وذلك للرجوع إلى العائلة وخاصة أبناء عمومة العروس .

ذلك لأن للبدوي عادات تعتبر بمثابة قوانين لا يجوز الالتفاف حولها أو تجاهلها ، فإذا كان لأحد أبناء عمومة العروس رغبة في الزواج منها كان الرد الطبيعي للطالب هو أن ابن عم الفتاة قد أمسكها لنفسه .

وإذا لم يكن لأحد أبناء عمومتها الرغبة في ذلك ، أذن والد العروس لأهل العريس القدوم لمنزله وتحديد موعد الخطبة .

الاحتفال بيوم الخلطة :

الخلطة كما ذكرنا تعني الاختلاط ، بمعنى أن الأسرتان أو العائلتان أو القبيلتان قد اختلط كل منهما بالآخر ، وانتسب بعضهما لبعض وصاروا نسبًا ، أما عن الاحتفال بيوم الخلطة أي يوم الخطبة ، فإن هذا اليوم يتم الاتفاق عليه وتحديده بين أهل العريس وأهل العروس ، وغالبًا ما يكون ذلك اليوم هو يوم الجمعة بعد صلاة الجمعة مباشرة .

يقوم والد العريس بدعوة كبراء عائلته ويقوم والد العروس بنفس الشيء ، ويقوم أهل العريس الخطيب بإحضار كل ما يلزم للاحتفال بذلك اليوم من تقديم الطعام لكل الجمع من الحضور، وذلك بإحضار أكبر عدد من الذبائح من الضأن وكذلك إحضار الكميات المطلوبة من الأرز والسكر وخلافه، ويتم إحضار كل هذه الكميات من الأطعمة ليتم طهيها عند أهل العروس،حيث الاحتفال بيوم الخلطة .

وعندما تُنحر الذبائح وبعدما تقدم الولائم ولما ينتهي الجميع من تناول الطعام يجلس الكبراء من العائلتين أو من القبيلتين ، فيتحدث أكبرهم سنًا ويعلن أن فلانًا قد خلط لولده عند فلان ، ويطلب إلى الجمع الحاضر قراءة الفاتحة .

وبعد أن يتم قراءة الفاتحة يرسل إلى النساء بأنه قد تم قراءة الفاتحة ، وأن الأمر قد تم ، وإن الخلطة قد صارت ، فتنطلق زغاريد النساء معلنة خطوبة العروس إلى عريسها ، وفي هذا اليوم يتم تقديم المهر وتحديد يوم الزفاف ولا يهتم البدوي بأي تفاصيل أخرى ، فلا نعرف في الزواج البدوي اشتراط عدد الغرف التي يجب أن يتم فرشها ، ولا تعرف ما يسمى بكتابة قائمة منقولات زوجية أو ضمانات للزوجة ، أو أي أشياء من هذا القبيل ، والذي يجعل الزواج يخرج عن نطاق الميثاق الغليظ إلى صفقة تجارية ، ويجعل المرأة أكثر سيطرة على الرجل وتمارس عليه ضغوطًا نفسية لا يتحملها الكثير من الرجال الأسواء .

لا يعرف البدوي أي إجراء من هذه الإجراءات ، وأن كل ما يعني البدوي في الزواج هو أن يتزوج فتاة من عائلة كريمة وعائلة معروفة ، وأن يزوج الرجل ابنته لشاب من عائلة كريمة ومعروفة ، وأنه مشهود لهذا الشاب بالتدين أو الاستقامة ، والسير على نهج العادات البدوية في كل أمور الحياة ، ولا شيء يهم بعد ذلك .

وفي الخلطة البدوية لا يجوز للعريس أن يأتي إلى منزل العروس أبدًا ، ولا

يرى عروسه إلا يوم زفافه ، وأن عملية تبادل الهدايا أو أي أشياء من هذا القبيل تتم عن طريق وسيط من النساء القريبات من العريس ولا يجوز للعريس الخطيب الاقتراب مجرد الاقتراب من منزل العروس أثناء فترة الخلطة أو الخطوبة ، وحتى لو كان العريس صديقًا لأحد أشقاء العروس وكان يتردد على المنزل قبل يوم الخلطة فإنه يحرم عليه بعد ذلك اليوم زيارة صديقه أو الاقتراب من منزل العروس إلا بعد اتمام الزفاف ، وبعد أن تصبح العروس زوجة له فليأتي كما شاء على الرحب والسعة .

ثانيًا : الملم « الزفاف » :

الملم عند عرب البادية يعني يوم الزفاف ، ومعنى الملم هو أن الشاب قرر أخيرًا أن يتزوج وأنه قد التأم بالفتاة التي صارت زوجته ، ويوم الزفاف البدوي يتم فيه دعوة جميع الأقارب وغير الأقارب من جميع القبائل البدوية .

والزفاف البدوي قد يستمر اسبوعًا أو أكثر ، وفي آخر يوم من أيام الملم وغالباً ما يكون يوم الخميس تزف العروس إلى عريسها ويتم إحضار العروس من منزل والدها بمفردها دون أن يرافقها العريس أو يراها ، وتحضر معها النسوة من أهل العريس ومن أهلها يصفقن ويغنين حتى المساء .

وعندما ينصرف الجميع يأتي العريس إلى عش الزوجية ليجد العروس بمفردها إلا من شقيقة له أو شقيقة لها ، تقدم له الطعام وخلافه ثم تنصرف حتى يتعرف العريس على عروسه التي يخاطبها لأول مرة ، وليدور بينهما حوار للمرة الأولى ، ولتبدأ الحياة الزوجية من هذا المنطلق .

ومنذ أن تبدأ مراسم الزواج لا ترى العروس والدها ولا يرى العريس والده ، وذلك من شدة الحياء ، ويستمر ذلك الأمر إلى ما يسمى بيوم فك العقال ، وصباح يوم الزفاف وقبل أن تشرق شمس ذلك اليوم يغادر العريس منزل الزوجية

سرًا دون أن يراه أحد ، كوالده أو والدته ، أو شقيقه الأكبر ، وذلك من الحياء الشديد الذي قد ينتج عن مواجهتهم .

وهذه الحياة الجديدة يصعب على العريس أن يواجه بها من يستحي منهم ممن يكبرونه سنًا ، فيغادر منزل الزوجية سرًا إلى حيث أحد أصدقاءه الذي دعاه لقضاء اليوم عنده كاملاً لتناول طعام الغداء والعشاء وليقدم له أجود أنواع الأطعمة وأكثرها فائدة .

ويتم دعوة جميع الأصدقاء الذين يستمرون في إعداد الولائم للعريس حتى أن هذا الأمر قد يستمر شهرًا كاملاً يتم دعوة العريس فيه كل يوم عند صديق مختلف وعلى وليمة مختلفة ، ثم يعود العريس مساءًا في حوالي الساعة العاشرة ومعه بعض الأصدقاء ، ويجلسون معه في منزل الزوجية لوقت قصير ليقدم لهم فيها الحلوى والمشروبات ويقومون هم أيضًا بإعطاءه بعض النقود إهداءًا وتقديرًا من الأصدقاء ، ثم ينصرف الأصدقاء تاركين العريس لزوجته التي لم تراه منذ صباح ذلك اليوم .

وفي خلال هذه الفترة وبعد أن يغادر العريس منزله صباحًا فإن الزوجة تكون في استقبال صديقاتها وأقاربها من النساء وأهل زوجها وقريبات زوجها من النساء وحتى يعود العريس إليها .

ثالثًا : الذروة :

زار يزور زيارة ، والذروة عند عرب البادية تعني الزيارة وهي تعتبر المرحلة قبل الأخيرة لطقوس الزواج البدوي ، وموعد الزيارة أو الزروة هو أسبوع على مضي يوم الزفاف ، وتسمى زورة أي زيارة لأن العروس تزور أسرتها للمرة الأولى بعد انتقالها لمنزل زوجها ، وهذه الزيارة ليست زيارة عادية وإنما تعتبر بمثابة احتفال لدى أسرة العروس ، وذلك لأن والد العريس وأشقاءه وعائلته ينتقلون

جـمـيـعـهـم إلى منزل أهل العروس في ذلك اليوم ، ويكون والد العروس في استقبالهم وكذلك عائلته على أن يحضر أهل العريس معهم الزبائح وكافة الأطعمة التي تقدم للحضور من المدعويين .

ويوم الزورة يتشابه كثيراً مع يوم الخلطة وفي يوم الذورة أيضًا لا يرافق العريس عروسه وذلك لكونه لا يستطيع مواجهة والده ووالد زوجته العروس من شدة الحياء لكونه لم يتعود بعد على الحياة الجديدة .

وأن كونه أصبح عريسًا وله زوجة قد اختلى بها واختلت به ذلك الأمر يجعل العريس أكثر حياءاً وأكثر شعوراً بالخجل من والده ، وممن يكبرونه من أشقاءه ، الأمر الذي يجعل العريس يحتاج إلى فترة طويلة من الزمن حتى يتعود على هذا الأمر ليستطيع الجلوس مع من يوقرهم ويشعر بالخجل حيالهم ، وفي نهاية يوم الذورة تعود العروس إلى منزلها مع أهل زوجها وعلى ألا تنس أن تحضر معها نصيب العريس من الوليمة التي قدمت للحضور في احتفال يوم الذروة .

فك العقال :

فك أي حل ، والعقال هو المعقود من الأشياء ومعنى فك العقال ، أي حل أمراً معقوداً ، والعقل أي الربط .

ويعني ذلك عند عرب البادية أن فك العقال هو المظهر الأخير من مظاهر الاحتفال بالزواج وهو تقليد قديم ولا يزال شائعًا بين القبائل البدوية ، وعبارة فك العقال تعني عند البادية أنه قد حان الوقت أن تحل عقدة الحياء بين العريس ووالده والعروس ووالدها وأسرتها ، وأن مرور شهراً أو أكثر على الحياة الزوجية كفيل بأن يشعر الاثنان بالتعود على هذا الأمر .

وفك العقال بالمعنى الدقيق هو اندماج العريس مع والده وذهاب العروس لوالدها لمصافحته بعد أكثر من شهر على الزواج ، وحتى تنكسر شيئًا فشيئًا حدة

الحياء بين العريس وأسرته والعروس وأسرتها ويبدأن التعود على الاختلاط بهم ومجالستهم ، والمدهش أيضًا هو أن العروس وبالرغم من أنها ذهبت إلى والدها وصافحته وانجلت سحابة الحياء بين العروس ووالدها بعض الشيء ، إلا أن العروس تظل طيلة حياتها الزوجية تغطي وجهها الذي طالما ظل مكشوفًا أمام والدها وهي فتاة .

فعندما تعود له عروسًا وزوجه فإنها لابد أن تغطي وجهها أمام والدها وأشقاءها الذين يكبرونها ، وكذلك أمام والد زوجها وأشقاءه الذين يكبرونه ، ويعتبر فك العقال هو آخر مظهر من مظاهر الاحتفالات بالزفاف في المجتمع البدوي .

وتبدأ الحياة بين الزوجين على السمع والطاعة من الزوجة وعلى الزوج القيام بما يقوم به الأسوياء من الرجال وبحسب المألوف في الحياة البدوية بعادتها وتقاليدها الخاصة .







الباب الرابع

تراث الأدب البدوي



الباب الرابع

تراث الأدب البدوي

ينقسم الأدب البدوي إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : الشعر البدوي ، ويسمى الشعر عند عرب البادية القول .

القسم الثاني : غناوي العلم وهي بمثابة عبارات الغزل في المجتمع البدوي .

القسم الثالث : الشتاوة .

وسنعرض لكل قسم على حدى ، وسنعطي مثالاً أو أكثر لذلك ، محاولين تفسير المعنى لكل مثال ، وقد تحرينا في ذلك الإيجاز بقدر الإمكان .

القسم الأول : الشعر البدوي

الشعر البدوي ويسمى القول والشعر البدوي أو القول البدوي يعتبر في رأيي المتواضع أنه أرقى نوعًا من أنواع الشعر وأكثر ألوان الشعر صدقًا وتأثيراً وأروعها معاني وأجملها صياغة وأغناها صوراً وأغربها سحراً .

ذلك لأنه من المدهش بل ومن المزهل أن تقرأ قصيدة بدوية رائعة جمعت فيها جميع مفردات اللغة العربية وتوافرت بها جميع مقومات الشعر من تجربة شعرية إلي عبارات أدبية إلى النعت والسجع والقافية ودقة الترتيب والتقسيم في الأبيات .

ثم إنك لن تستطيع أن تتمالك نفسك من الدهشة عندما يصل إلى علمك أن بعض هؤلاء الشعراء الذين يقولون هذا القول أو الشعر بعضهم أمي لا يستطيع القراءة والكتابة ولكنك وبعد أن تفيق من دهشتك لعلك تتسائل كيف

إذن توصل الأمي الذي لا يكتب ولا يقرأ .

كيف توصل إلى هذه الصياغة ومن أين له أن يأتي بكل هذه المقومات الشعرية ومن أين له الأبيات ، والصفات والاستعارة والقافية . . .

كيف تأتي له ذلك علمًا بأن كل هذه الأمور لا يمكن القيام عليها والإلمام بها إلا بواسطة دارسين ومتخصصين في هذا المجال .

ذلك لأن القصيدة البدوية أو القول البدوي قد صنعتها التجربة الشعرية وسواءًا كانت هذه التجربة سارة أو قاسية تلك التجربة هي التي صنعت هذه القصيدة ، كما أنه ولا شك وكما ذكرنا آنفًا أن مرد ذلك إلى ما وهبه الله للبدوي من ذكاء فطري حاد جعله على دراية بكثير من أمور الحياة .

وأبيات القول البدوي أو الشعر البدوي قد تكون لغير البدوي غير مفهومة ، ولكنها ذاخرة بكل ما هو رائع ومزهل ومعبر في نفس الوقت ، وسأقدم لك بعض القصائد البدوية على أن أقوم إن شاء الله بتوضيح معنى كل قصيدة وكل بيت من الأبيات منفردًا ، وذلك حتى تشعر معه بروعة المعنى الذي تتضمنه أبيات القصيدة البدوية أو القول البدوي ، وأول هذه القصائد هي لأحد الشعراء عند عرب البادية ويسمى الحاج / عبد اللطيف العشيبي من محافظة مرسي مطروح ، هذا الشاعر تعرض لصدمة عنيفة وفقد أحد أبناؤه والذي مات غرقًا في مياه البحر المتوسط .

وشدة الحزن على نجله الذي مات غرقًا جعلته يجلس على ربوة عالية في مواجهة البحر ، وأخذ يقول قصيدة بدوية أو قولاً بدويًا يعبر فيه عن حزنه ، وعن ما ألم به من آلام من جراء فقدانه لنجله .

وجلس يخاطب البحر حزنًا على فقدانه ولده وفلذة كبده ثم يرد عليه البحر وكانت هذه الآبيات الرائعة من القصيدة والتي سأذكر منها بعض الآبيات فقط

للتمثيل على ما أقول .

يقول الشاعر في هذه القصيدة الحزينة :

اليوم يا بحر هايج وموجك عالي والى واخزه مني عزيز وغالي

المعنى :

الشاعر هنا يخاطب البحر فيقول : ما خطبك أيها البحر ، فأمواجك عالية وعليك أن تعلم أن من أخذته مني وأغرقته له في نفسي محبة ومعزة ليست بعدها معزة .

اليوم يا بحر هايج وباقي صايل واخذ جنيني فوق سطحك شايل

المعنى :

وهنا يريد الشاعر أن يقول أن البحر قد أصبح كالخيل الشاردة وحمل جنيني على سطحه ، والغريب هنا أن ذلك الشاعر البدوي والذي لم ينال قسطًا وفيراً من التعليم يطلق صفة جنيني على ولده وفلذة كبده .

وصفة الجنين عند عرب البادية هي عبارة يتحدث بها جميع أبناء البادية منذ آلاف السنين والمدهش والغريب أيضاً أن علم الجينات هو علم حديث الاكتشاف لم يتوصل إليه الباحثون ، إلا حديثًا ولفظ جنين تعني ولدي وتعني ذلك الجزء مني وهو ما توصل إليه علم الجينات حديثًا وتحدثوا فيه عن دور الجينات في الإنجاب وعلم الاستنساخ .

الأمر الذي يجعلك أمام حيرة بخصوص هذا الأمر ذلك لأن البدوي يقصد بعبارة جنيني أنه جزءاً ليس من اليسير عليه الاستغناء عنه .

ويعود الشاعر ليقول :

لو كان يا بحر تقدر تدير جمايل على طارتك ترميه روف بحالي

المعنى :

أن الشاعر يتمنى على البحر ويرجوه أن يقدر ما هو فيه ويسأله أن يصنع له جميلاً ويلقي له بولده على جانب الشاطئ رأفة بحاله .

ويواصل الشاعر قائلاً :

خليت مينته تبكي بدموع شلايل ونا شوف حالي ما يريد سوالي

المعنى :

وهنا يصف الشاعر للبحر حاله وحال والدة الغريق ، فيقول لقد جعلت والدته تبكي بدموع كالشلال ، أما أنا فانظر إلى حالي لا أعتقد أنه يحتاج إلى سؤال .

البحر يرد على الشاعر فيقول :

يا حاج نادية صايل وديمة سطوله فوق سطحي شايل

والمعنى :

أن البحر ينبه الشاعر أن ذلك هو حال البحر دائمًا وأنه دائمًا ما يحمل على ظهره الأساطيل .

ثم يقول البحر على لسان الشاعر :

يا حاج راه كل حي زايل والدنيا غرورة ما تدوم لوالي

ويقصد البحر أن كل الأحياء إلى زوال وأن الدنيا غرورة ولن تدوم لأحد ، ثم يواصل البحر قائلاً :

الموت تفني نجوع وقبايل وديمه تخلي في القصور خوالي

والمعنى :

أن الموت تفني كل شيء ، النجوع والقبائل ودائمًا ما تجعل القصور خالية ، ثم يواصل البحر رداً عليّ والد الغريق قائلاً :

يا حاج خليك صابر الشيب في وجهك وراجل كابر

كل يوم في الدنيا عامرات مقابر وراح الأول وجاك الثاني

والمعنى :

أن البحر يلوم الشاعر على جزعه فيقول له : اصبر فأنت شيخًا كبيرًا وقد ظهر الشيب في لحيتك ، وعليك أن تعلم أنه ما يمر يومًا إلا وتعمر القبور بالموتى فيموت الأول ، ويولدا لثاني ، وتلك هي الحياة .

ويواصل الشاعر قائلاً :

اليوم يا بحر هايج وباقي زايف ومومجك يروح من بعيد ضفايف

ومعنى ذلك :

أن الشاعر يصف البحر بأنه في قمة هياجه وغضبه وأن أمواجه تأتي أكثر علواً في نظر الشاعر .

ثم يواصل الشاعر قائلاً :

واخذ إلي كنا عليه نرايف نا والعجوز كان غاب ليالي

والمعنى :

أن البحر قد أخذ من الشاعر من كان يشتاق إليه هو وعجوزه أي زوجته وهي أم الغريق .

ويقول الشاعر : لقد أخذت منا من كنا نشتاق إليه إذا فارقنا ليالي .

ويواصل الشاعر حزينًا :

الى يا بحر كامل بكل وصايف وحق من خلقني هو خيار عيالي

والمعنى :

أن ذلك الغريق يحمل جميع الصفات الحسنة ويقسم الشاعر للبحر أن من

أغرقته أيها البحر هو خيره أولادي ، ثم يأتي دور البحر ليرد على الشاعر فيقول :

يـا حـاج ريـح بـالك كيـف راجـل كبير وهـذا حـالك
صبر عجوزك والأولاد عيالك وتصدق عليه وسيبني في حالي

والمعنى :

أن البحر يقول للشاعر : اهدأ بالا أيها الحاج ، أنت شيخًا كبير تؤمن بالقضاء والقدر ، فكيف يكون هذا هو حالك ، ما عليك إلا أن تصبر وتنصح زوجتك وأولادك بالصبر ، وعليك بالصدقة ، أما أنا فاتركني وشأني .

ويواصل البحر قائلاً :

يا ما غدرت بناس كيف موالك	ما غيرك منهم واحد شكا لي

والمقصود أن البحر يقول لقد غدرت بالكثير والكثير مثل ابنك فليس ولدك الأول أو الأخير ، ومع ذلك فلم يجرؤ أحد ويشكو لي ما فعلت مثلما تفعل أنت الآن .

فيا لها من معاني رائعة ، تلك التي احتوتها هذه الأبيات من القصيدة ويالها من تجربة شعرية قاسية تلك التي مر بها الشاعر وتمخضت نها هذه الأبيات البليغة .

وإليك بعض الأبيات الشعرية لهذه القصيدة ، وبعد أن حاولنا إيضاحها وبيان معانيها لمن لا يعرف اللهجة البدوية .

الشاعر :

اليوم يا بحر هايج وموجك عالي	والي واخده مني عزيز غالي
اليوم يا بحر هايج وباقي صايل	واخذ جنيني فوق سطحك شايل
لو كان يا بحر تقدر تدير جمايل	علي طارتك ترميه روف بحالي
خليت منيته تبكي بدموع شلايل	ونا شوف حالي ما يريد سوالي

يرد البحر يقول :

يـا حـــاج ناديمـــه صايـــــــل	وديمـة سطولـه فوق سطحي شايـل
يا حـــاج راه كـــل حـــي زايـــل	والدنيـا غـرورة ما تـــدوم لوالـي
وراه المـوت تفنـي نجـــوع وقبايـــل	وديمـة تخلـي في القصـور خوالـي
يـا حـــاج خليـــك صابـــــــر	الشيـب في وجهـك وراجـل كابـــر
كل يــوم في الدنيا عامـــرات مقابـر	وراح الأول جـــاك الـثـــانـــي

الشاعر :

اليــوم يا بحـــر هايـج وباقـــي زايـف	وموجـك يـروح من بعيـد ضفايـف
واخــــذ اللـــي كنـا عليـــه نرايـف	نـــا والعجـــوز كـان غاب ليالـــي

البحر :

يا حـــاج ريـــــــح بــــالك	كيف راجـل كبيـر وهـــذا حالك
صبـر عجـــوزك والأولاد عيــالك	وتصـدق عليـه وسبينـــي في حالي
يا ما غــدرت بنـاس كيــف مــوالك	ما غيــرك منهــم واحــد شكـا لـــي

تلك إذن هي قصيدة البحر ولقد رأينا كيف أن التجربة الشعرية القاسية التي مر بها الشاعر قد صنعت قصيدة رائعة تعبر عن أحساسيس الشاعر وآلامه التي هذت كل أركانه ، وهناك الكثير والكثير من القصائد التي يذخر بها التراث البدوي ، والذي يستحق أن يكتب عنه الكثير والكثير .

ولكنني لن أطيل في ذلك وسأذكر بعض الأبيات من قصيدة أخرى ، وهذه القصيدة للشاعر البدوي الحاج ضي المغواري ، وهو رجل معروف للكثير من أبناء القبائل البدوية ومعروف لي شخصيًا ويسكن غير بعيد مني .

وموضوع قصيدته هو أن شابًا بدويًا يعيش في الصحراء بقسوتها وحلاوتها

وعادتها وتقاليدها ، وأن الحياة في الصحراء وفي النجوع البدوية المتناثرة في الصحراء تجعل من يعيشون فيها أكثر تشدداً للعادات والتقاليد وأكثر تمسكًا بها ، والحرص عليها وأن من يحيد عن العادات والتقاليد البدوية في نجوع الصحراء كأنه أتى جرمًا عظيمًا وأصبح كالمجزوم يفر منه الجميع فيظل منبوزاً مكروهًا من هذه الصحراء ومن أحد النجوع البدوية هناك شابًا ساقته الأقدار إلى المدينة ، وشتان ما بين حياة المدينة وتحررها وحياة الصحراء وعاداتها هذا الشاب الذي ساقته قدماه إلى المدينة تعلق بأحدى الفتيات من المدينة ووصل هذا التعلق إلى درجة العشق والوله وبادلته الفتاة نفس الأمر وبادلته نفس المشاعر .

ولكن الشاب البدوي وبعد أن سقط في بحر الغرام أصبح في حيرة من أمره وراح يحدث نفسه ويقارن بين حياة المدينة وسهولتها ، وحياة الصحراء وقسوتها وهل سترضي هذه الفتاة بحياة الصحراء ، وهل سيلائمني أنا طباع هذه الفتاة وتصرفاتها التحريرية وأزياءها الغريبة عن العادات البدوية ، وهل سيتناسب ذلك كله مع حياة الصحراء ونجوعها .

ظل الشاب هكذا في حيرة من أمره ، وهذه الحيرة وتلك التجربة صنعت له هذه الأبيات والتي يحدث فيها نفسه على النحو التالي :

القصيدة ، يقول الشاعر :

إلـى كمهـــا قـاصـــر علـى مـرفقهـــا

قلبي عشقها لا غيت عنها ولا رضيت رفقها

والمعنى :

أن الشاب وعلى لسان الشاعر يقول : تلك الفتاة التي ترتدي ذيًّا له كم قصير لا يصل إلى المرفق « نصنف كم » قلبي عشقها ، أي أنه أحبها حبًّا شديداً وأنه لا يستطيع الغياب عنها ولكنه في نفس الوقت لا يرضيه أن يكون رفيقًا لها

ذلك لأن البدوي غالبًا ما يسمى الزوجة رفيقة أي رفيقته في مشوار الحياة .

ثم يواصل الشاعر فيقول :

رفقهـا جنـه غير العوايـد باعدنـا عنـه

ناما نليق غير بجرد وشنه وما نريد بدله رقبتي تخنقها

والمعنى :

أن مرافقة تلك الفتاة كالجنة في جمالها ، ولكن العادات باعدتنا عنه ، وانا يقول الشاعر لا أجد نفسي سوي في ارتدائي للجرد وهو من الأذياء البدوية ، وكذلك الشنة ، وهي توضع على الرأس وغالبًا ما يكون لونها أحمر .

ويقول : وما نريد بدله رقبتي تخنقها ، أي أن الشاعر هنا يقصد أنه لا يستطيع أن يرتدي البدلة بما فيها رابطة العنق والتي ستصيبه بالاختناق .

ويقول الشاعر :

وهـي لا قنـاع ولا عليهـا سنـه تدور كي ما رب العباد خلقها

والمعنى :

أنها ترتدي زيًّا عاريًا لا قناع ولا يتمشى مع الشرع أو السُّنَّة ، وترتدي القليل من الملابس والتي لا تستر جميع أجزاء جسدها .

ويواصل الشاعر :

هـي حضريـة ومعاهـا شهايـد علـم ومحاميـة

ونا بدوي لغوتي عميه يومًا يسير فراق ما نعلقها

والمعنى الذي يقصده الشاعر :

أنها فتاة متحضرة ومتحررة ، وأنها محامية وعلى درجة عالية من التعليم لحصولها على الشهادات التي أهلتها لذلك ، أما أنا فرجل بدوي أتحدث اللهجة

البدوية ، فإذا ما صار بيني وبينها خلاف بعد ذلك فسيكون لها الغلبة والسيطرة وهو ما لا أرضاه لنفسي .

رفقها راحة للقلب وصفة طبيب جراحة

وحق من يجوه الزائرين فراحة غزال ربنا خالقها

والمعنى :

أن مرافقه فتاة المدينة التي يعشقها هو راحة للقلب ، ويعتبر بمثابة وصفه أي نصيحه من طبيب جراح ، ويقسم على ذلك ويقول : وحق من يأتوه الزائرين فراحه أي مسرورين ، ويقسم بالله الذي يلبيه الزائرين يوم الحجيج بأن الفتاة كالغزال في جمالها ورشاقتها .

ثم يواصل الشاعر قائلاً :

لا عندنا ثلاجة ولا عندنا من صنف التقدم حاجة

إلا غوط بسمك كل يوم عجاجة حياة ترق النفس وتزهقها

وكأن الشاعر يقارن بين حياته وحياة معشوقته ، أما أنا فحياتي قاسية ، فليس عندي ثلاجة ، وليس هناك في نجوع الصحراء أي نوع من أنواع التقدم ، اللهم إلا وادي في الصحراء يعصف بالرمال والأتربة ، وهذه حياة ترهق النفس وتؤدي بها إلى الملل .

ثم يواصل الشاعر :

وهي عندها شارع عجب مكياجه تنقي اللون الي على فاهقها

إن الفتاة في المدينة تسكن شارعًا مليء بكل الألوان ، وتختار منه ما يناسبها ويحلو لها .

ويواصل الشاعر قائلاً :

تريـد مكيــف وشاليــه على الكرنيــش فيــه تصيــــف

ونـاحيلتي خيشه ودرس شليف تبرم عليها كيف وتطققها

والمعنى :

أن فتاة المدينة وحسب ما تعودت عليه تحتاج إلى مكيف أو تكييف ، وقد ترغب في قضاء الصيف في شاليه على شاطئ البحر .

أما أنا فليس لدي سوى الخيشة وهي الخيمة الصغيرة التي يقيم فيها الشاب وقطعة من الفراش البالي ، فكيف لها أن تتحمل ذلك ، وهل تستطيع هذه الفتاة أن تعتني بأمر خيمتي أو تسكن فيها .

ويواصل الشاعر :

تريـد بلوزة وفي الصيـف ما تشـرب الأقـزوزة

ولها جسم طايب طياب الموزة تفقد شعورك عندما تزنقها

والمعنى :

أن فتاة المدينة ترتدي ما يسمى البلوزة ، وتشرب المرطبات في فصل الصيف ثم يبدأ في وصفها فيقول : إن جسدها لين وقد استوى كاستواءة الموز ولو اقتربت منها ولامس جسدك جسدها فلن تتمالك نفسك وقد تفقد شعورك .

الى كمهـا قـاصـر على مرفقهـا

قلبي عشقها لاغب عنها ولا رضيت رفقها

تلك هي الأبيات أو بعض أبيات هذه القصيدة ، وذلك هو المعني المقصود منها ، وإليك أبيات القصيدة حتى تشعر معي ببلاغتها .

القصيدة :

إلى كمها قاصر على مرفقها قلبي عشقها
لا غبت عنها ولا رضيت رفقها

رفقها جنه مغير العوايد باعدنا عنه
ناما نليق غير يجرد وشنة وما نريد بدلة رقبتي تخنقها

وهي لاقناع ولا عليها سنه
تدور كيف ما رب العباد خلقها

هي حضرية ومعاها شهايد علم ومحاميه
ونا بدوي لغوتي عميه يوم ما يسير فراق ما نعلقها

رفقها راحة للقلب وصفه طبيب جراحه
وحق من يجوه الزائرين فراحه غزال ربنا خالقها

لا عندنا ثلاجة ولا عندنا من صنف التقدم حاجه
الا غوط يسمك كل يوم عجاجه حياة ترق النفس وتزهقها

وهي عندها شارع عجب مكياجه
تنقي اللون الي على فاهقها

تريد مكيف وشاليه على الكرنيش فيه تصيف
ونا حيلتي خبشة ودرس شليف تبرم عليها كيف وتطققها

تريد بلوزة وفي الصيف ما تشرب إلا قزوزة
ولها جسم طايب طياب الموزة تفقد شعورك عندما تزنقها

إلى كمها قاصر على مرفقها قلبي عشقها
لا غبت عنها ولا رضيت رفقها

والتراث البدوي ذاخر بالشعر والشعراء ، وهناك الكثير من القصائد البدوية الرائعة والمدهشة وسأذكر بعض أبيات من قصيدة أخرى ، وهي قصيدة يصف فيها الشاعر الناس إلى أنواع ، ويريد أن يقول من خلال قصيدته أن الناس ليسوا سواسية ، وأنهم أنواع وأصناف ، فمنهم حسن الصفات ومنهم سيء الصفات ، وإلى غير ذلك من الناس ، وقد عبَّر عن ذلك في قصيدته « الناس » .

واليك منها الأبيات التالية :

هنـاك ناس تكرهـم من أول ليلـة ... وهناك ناس ما يهونوا سنين طويلة

والمعنى :

أن هناك صنف من الناس تشعر تجاهه بالكراهية للوهلة الأولى ، ومنذ الليلة الأولى ويقصد الشاعر عند المقابلة الأولى ، وأن هناك ناس لا يمكنك الاستغناء عنهم سنوات طويلة .

ويقول الشاعر :

وهنـــــاك نـــاس حبايـــــب ... وهناك ناس تكرهم بغير سبايب

والمعنى :

أن الشاعر يقول أن هناك نوع من الناس تشعر تجاهه بالحب ، وهناك أيضًا صنف آخر من الناس تشعر نحوه بالكراهية بدون أسباب .

ويواصل الشاعر :

ولا العقل العامر كي العقل الخايب ... ولا وجوه تندي كـي وجوه بخيله

والمعنى :

أن الإنسان ذو العقلية العامرة بالذكاء ، ليس كالإنسان ذو العقل الخرب ، وأن الوجوه الناديةو هي وجوه البر والخير ليست كالوجوه البخيلة .

ويواصل الشاعر:

وهناك نـــاس يــــا محـــــــلاهم وهناك ناس ما تقدر تعيش بلاهم

والمعنى:

أن هناك أناس جميلة وحلوة الطباع ، وهناك أيضًا أُناس لا يمكن أن نتحمل العيش بدونهم .

ويواصل الشاعر:

وهناك ناس عشرتهم خطأ طوالي مكتوب في جباهم خراب العيله

والمعنى:

أن هناك نوع من الناس التعرف عليهم والاقتراب منهم خطأ كبيرًا ، لأن هؤلاء الناس حفنة من الأشرار ، وأن كل البلاء مكتوبًا على جباهم وأنهم سبب المشاكل التي تحدث في كل عائلة .

ويواصل الشاعر:

وهناك ناس تعزم والجيوب خوالي وهناك من يبخل والجيوب ثقيلة

ويقصد الشاعر:

أن هناك نوع من الناس يعرض عليك المساعدة ويلح في ذلك ، وهو خالي الجيوب ولا يمتلك شيئًا ، وهناك أُناس شديدة البخل ، بالرغم من أن جيوبها ثقيلة ، يقول الشاعر ويقصد أن جيوبها مليئة بالأموال .

ويستمر الشاعر:

وهناك نــاس يـــا مبهاهــــــم وهناك ناس توعدهم وما تلقاهم

والمعنى:

أن الشاعر يريد أن يقول أن هناك أُناس ذات طلعة بهية ، وهناك نوعًا آخر من الناس إذا واعدته لن تجده أي نوع من الناس لا يصدق وعداً .

ويواصل الشاعر:

وهنــاك نـــاس يا مبلسهـــــم   لا غريب يقبلهم ولا من هلهم

والمعنى:

أن هذا الصنف من الناس هم أشرار وأن تصرفاتهم تصرفات شيطانية مثل إبليس ، ومعنى يا مبلسهم أي ما ابلس تصرفاتهم وتعني أنهم ينتمون إلى إبليس اللعين .

ويقصد الشاعر بذلك تصرفاتهم وطباعهم وأن هؤلاء الناس لا تجد من يشعر نحوهم بالقبول لا من الغرباء ولا حتى من أهلهم وعشيرتهم .

هذه إذن بعض الأبيات لقصيدة الناس ، وقد قمنا بشرح ما تعنيه هذه الأبيات ، وإليك الأبيات التي ذكرناها :

قصيد الناس: يقول الشاعر:

هناك ناس تكرهم من أول ليلة

وهناك ناس ما يهونوا سنين طويلة

وهناك ناس حبايب

وهناك ناس تكرهم بغير سبايب

ولا العقل العامر كي العقل الخايب

ولا وجوه تندي كي وجوه بخيله

وهناك ناس يا محلاهم

وهناك ناس ما تقدر تعيش بلاهم

وهناك ناس عشرتهم خطأ طوالي

مكتوب في جباهم خراب العيلة

وهناك ناس تعزم والجيوب خوالي

وهناك من يبخل والجيوب ثقيلة

وهناك ناس يا مبهاهم

وهناك ناس توعدهم وما تلقاهم

وهناك ناس يا مبلسهم

لا غريب يقبلهم ولا من هلهم

كانت هذه إذن بعض الأبيات من قصيدة الناس ، وقد سبقها أبيات أخرى لقصيدة البحر وقصيدة فتاة المدنية ، ولقد قصدت من كل ذلك أن أبين لك ، كيف أن هؤلاء الشعراء من عرب البادية يمتلكون هذه البلاغة النادرة وأن التراث الدوي مليء بكل الألوان الأدبية من شِعر وقصص بدوية رائعة ولا أريد أن أنسى أن أذكرك بأنه وبالرغم من ذلك كله فانك قد تجد من هؤلاء الشعراء من لا يعرف القراءة والكتابة أو أن هناك من يعرفها بالكاد ، أو أن هناك شعراء ثقفتهم الحياة ، وتجاربها ، ولكنهم لا يحملون المؤهلات من الشهادات ونحوها ، إلا أن التراث البدوي مليء بأشعارهم وروائعهم .

القسم الثاني

غناوي العلم :

غناوي جمع الغناوة وعند عرب البادية تعني الأغنية .

وأغنية العلم عند البادية تعتبر بمثابة عبارات الغزل بين الشاب والفتاة ، وهي عبارة عن كلمات قصيرة يريد المغني من خلالها أن تصل مشاعره إلى معشوقته وبحيث تكون الكلمات القصيرة التي تضمنتها غناوة العلم تفي بكل مشاعره وأماله وتصوراته لعلاقته بمحبوبته .

وسأقوم بذكر بعض من غناوي العلم البدوية للتمثيل على ذلك ، وإليك بعض من هذه الأغاني :

الغناوة الأولى :

[١] غلا عزيز كيف العمر نهايته مع يوم الفنا .

ويقصد بهذه الغناوه أن حبه لمعشوقته كالعمر تمامًا لا ينتهي إلا عند الفناء ، ويعني بذلك أن غلا أي حب حبيبته ملازمًا له طالما ظل على قيد الحياة ولا ينتهي إلا عند الفناء أي عند الموت .

الغناوة الثانية :

[٢] راقد وجاك النوم كذاب ما غلانا شاغلك .

وفي هذه يعاتب العاشق محبوبته ويلومها قائلاً : راقد وجاك النوم ، أي أنك تهنأين بنوم عميق ، وأن مقولة أن حبك لي يشغلك هذا القول كذبًا وليس صحيحًا وما دمتي تنعمين بالنوم فلست مشغولة بي على الإطلاق .

الغناوة الثالثة :

[٣] ساهل ردود العيب الا القدر هو الي واعر شوي .

والمعني : أن رد العيب والإهانة هو أمر سهل للغاية ، أما أن نحافظ على كرامتك وكرامة الآخرين وتكون عند حُسن ظن الآخرين بك هو أمر ليس بالسهل أو الهين .

الغناوة الرابعة :

[٤] ديارة يجن يا لاك العقل يا عزيز حال غايته

والمعنى : أن المقصود هو أن أمنية القلب وغايته أن تكون الفتاة من نصيبه ، وأن يتحقق ما يحلم به وأن تكون دياره ملاصقة لديار محبوبته ، فلا تغيب عنه لحظة واحدة ، وذلك يدل على شدة الاقتراب والمقصود أن تكون الفتاة بجواره

طوال الحياة بأن تكون زوجته .

الغناوة الخامسة :

[٥] ننهاهن يديرن عزم بجي الليل ويزيدن بكا .

والمعنى : أن العاشق هنا يقول : أنه يحاول جاهداً منع عيناه من البكاء فتتمالك نفسها بعض الشيء ، ولكنها عندما يأتي الليل يزداد بكاءها عندما تخلو إلى نفسها في ظلام الليل .

الغناوة السادسة :

[٦] ظلامك يجيب عزيز ننزل عليك ياليل ما تجي .

والمعنى : هو أن المعني يقول : أيها الليل أن ظلامك عندما يحل واخلو لنفسي فإن طيف محبوبتي يأتي عندما يأتي ظلامك ، فأرجوك أيها الليل ألا تأتي أبداً ، حتى لا تتسبب في زيادة آلامي وأحزاني .

وما سبق ذكره هو نموذج من غناوي العلم البدوية بما تحويه من معاني رائعة ، وذات بلاغة غير مسبوقة وتلك الأغاني قد ينظر إليها غير البدوي والذي لا يعرف اللهجة البدوية قد يعتقد أنها مجرد « ياي ياي » لأنه لا يعرف اللهجة البدوية وبالتالي فإنه لا يعرف معاني غناوة العلم .

ويقيني أن هذه الغناوي والتي تحمل في طياتها أروع المعاني وأرقاها والتي ينظر إليها الكثير على أنها مجرد « ياي ياي » كما قلنا ، يقيني أنها أكثر بلاغة وأكثر وقاراً من . . . كذاب يا خيشة . . . أو سلم لنا بقا على الطرماي ، وأنها أكثر احتراماً وأصدق معنى من الأغاني التي أصبحت اليوم أرخص من سندوتش الفول في بلدنا .

القسم الثالث

الشتاوة

الشتاوة هي : أغنية شعبية بدوية ، والشتاوة هي أغنية ذات ألحان موسيقية وهي ليست طويلة ولكنها تتكون من بيت واحد .

وعلى سبيل المثال :

الأغنية أو الشتاوي الأولى :

بود ملج خايل في ايديه   نـاو الناس اعـذار عليـه

ومعنى ذلك :

أن من ترتدي الدملج « السوار البدوي » والذين يزين يديها اعتقد أنني عزيز عليها .

الشتاوة الثانية :

يا بـو سالف ستة كيلو   كان حزاك ربيع تشيلو

ومعنى ذلك :

أن العاشق يصف محبوبته بأن لها شعر يزن ستة كيلو جرامات ، ويقول لها : إن كان هناك أمل في الاقتران بك ، فأنا على استعداد أن أذهب بجوارك .

الشتاوة الثالثة :

عيونك يا لواي الشال   غرنبا في تـلال رمـال

وهنا يصف الفتى محبوبته ويقول : أن عيناها من شدة سوادهما مثل الغربان السوداء التي تقف على تلال الرمال البيضاء ، وذلك لشدة سواد عيون فتاته وشدة بياض بشرتها .

الشتاوة الرابعة :

يابو سالف ريش نعام ما خليت العين تنام

ومعنى ذلك : أن محبوبته لها شعر كريش النعام ، وأن عيونه لم تنم من شدة حبها والتعلق بها وانشغاله بها ، وما سبق لا يعدو أن يكون قطرة في خضم تراث الأدب البدوي الرائع ، والمعبر عن مقصوده .





الباب الخامس

التحكيم عند عرب البادية

الباب الخامس

التحكيم عند عرب البادية

التحكيم هو صورة مهذبة وهو مقدمة للصلح وإزالة الخلافات ، وذلك من خلال محكمين يطلق عليهم عرب البادية مصطلح المراضي ، وهؤلاء المحكمين أو المراضي شديدي الصلة بأطراف النزاع ، ولهم كلمة مسموعة ومشهود لهم بالعدالة والحيادية .

والتحكيم قد يكون داخليًا وقد يكون خارجيًا ، والتحكيم الداخلي هو الاحتكام إلى كبير القبيلة وشيخها ، وذلك عندما يكون الخلاف محل النزاع في اطار القبيلة الواحدة .

أما إذا كان الخلاف بين قبيلتين أو بين فردين ينتمي كل منهما إلى قبيلة مختلفة ، فإن التحكيم يلزم أن يكون المحكمين من خارج دائرة القبيلتين المتنازعتين ، وسنتحدث عن التحكيم بجميع صوره وأشكاله على النحو التالي :

■ التحكيم عند عرب البادية :

أن لعرب البادية عادات وتقاليد ذات خصوصية فريدة ، كما وأن للقبائل البدوية أعراف ومناهج نشأت وولدت مع ولادة البداوة وظلت ملازمة لها حتى يومنا هذا .

ومن هذه العادات والتقاليد هو الزامية حل الخلافات بين أفراد القبيلة وداخل القبيلة ، الأمر الذي يجعل من العار ومن غير المشرف أن تسمع هذا الخلاف أو تتطلع عليه قبيلة أخرى ، كذلك فإن أي خلاف بين قبيلتين أو شخصين من قبلتين مختلفين يحب أن تحتكم القبيلتان إلى محكمين أو مراضي يرتضيهم الطرفين .

وما ذكرته من خصوصية في هذا الشأن يكمن في صورة غاية في الروعة والسمو ذلك لأن الالتجاء إلى الجهات الأمنية واخطارها بكل كبيرة وصغيرة يعد بمثابة خروجًا على العادات والتقاليد البدوية وأن أي شخص بدوي يلجأ لإبلاغ الشرطة عن اعتداء وقع عليه أو حق سلب منه دون أن يسعى إلى الحصول على حقه في اطار العادات والتقاليد فإنه بذلك يكون قد حرم نفسه مما تزخر به العادات البدوية من أعراف وتقاليد ونظم قبائليه تعيد له حقه وترفع عنه مظلمته في فترة قياسية ، أما الالتجاء إلى الجهات الأمنية كالشرطة أو المحاكم مثلاً تجعله يحرم نفسه من هذه الميزة ، وكأنه بذلك قد حرم نفسه من درجة من درجات التقاضي ، ذلك لأن الشخص البدوي المعروف بانتمائه لقبيلة معروفة إذا ما وقع عليه ظلم أو سلب منه حق ولجأ إلى الجهات الأمنية دون اخطار قبيلته هذا الأمر ، يجعل قبيلته تتخلى عنه تمامًا وتتبرأ من فعلته ، بل وحتى أسرته ووالده وأشقاءه وكل المقربين منه يشعرون بالخجل من فعلته الشاذة ، ذلك لأنه خرج عن العادات البدوية وضرب بها عرض الحائط لأنه كان الأحرى به أن يلجأ إلى كبير القبيلة ويعرض عليه ما حدث ، ولن تغرب شمس يوم شكواه إلا وقد عاد إليه ما سُلِبَ ورفعت عنه مظلمته ، أما وقد خرج عن ذلك ونسى الأعراف والتقاليد فليس له عند أهله أو قبيلته حماية .

ويقيني أن ذلك أمر عظيم وصورة رائعة تلك التي تتمتع بها العادات البدوية وهو ما يشعرك أن القبيلة أسرة واحدة ، وأن القبائل عائلة واحدة ، وأن أي نزاع يحدث في المجتمع البدوي يتم احتوائه وتداركه بكل الود والأخوة والرضا بما يقضي به الكبراء من القبائل .

فمثلاً إذا ما قام شخص بدوي بالاعتداء على شخص آخر بدوي من نفس القبيلة ، **فنحن أمام أمران :**

الأمر الأول : هو أن يهرع المجني عليه إلى قسم الشرطة ويقوم بتحرير بلاغ ضد من اعتدى عليه .

ففي هذه الصورة يتحول المجني عليه إلى متهم ذلك لأنه متهم بأنه سفه العادات والتقاليد وضرب بها عرض الحائط وأتى أمراً ليس له أصل في التقاليد البدوية ولجأ إلى الجهات الأمنية لحل هذا الأمر.

وبالتالي فإنه لا يحظى بحماية العادات البدوية.

الأمر الذي يؤدي إلى غضب كبير العائلة غضباً شديداً ويرسل في طلب المبلغ نفسه إذا كان رجلاً كبيراً أو يرسل في طلب والد المبلغ إذا كان شاباً مراهقاً وعندما يحضر المبلغ أمام كبير العائلة فإنه يسمع ما لا يرضيه ويتعرض للتعنيف واللوم الشديدين والذي يبين له أنه قد أتى أمراً عظيماً بصنيعه هذا وكيف له أن يفعل ذلك وهل هو أي كبير العائلة عاجز عن أن يرد إليه مظلمته أو يعيد له حقه.

فما يكون من المبلغ إلا أن يختار بين أمرين الأول هو أن يعتذر لكبير العائلة ويخبره بأن ذلك قد صدر منه عن غير بصيرة وأن انفعالاته وما تعرض له جعله لا يميز الأمور.

عندئذ يطلب منه كبير العائلة أن يهرع إلى قسم الشرطة ويسجل تنازله عن ما حرره من بلاغ ذلك لأن كبير القبيلة لا يستطيع أن يناقش هذا الأمر مع أسرة الجاني في ظل وجود بلاغ ضدهم بقسم الشرطة لأن الابلاغ أو البلاغ عند عرب البادية يؤدي إلى قطع كل سبل الود والسعي إلى استقرار الأمور.

ثانياً: هو أن يرفض المبلغ الذهاب إلى قسم الشرطة أو التنازل عن بلاغه.

وهنا يتعرض هذا الشخص إلى أن يصبح منبوزاً بين أفراد القبيلة ويعامل معاملة الشخص سئ السلوك الذي ينفر منه الجميع ولا يجالسونه ويعاملونه

معاملة المنحرف سيء السمعة لأنه لم يلتزم بعاداته ولم يراعي كبراء عائلته ويوقرهم.

الأمر الثاني:

هو أن يلجأ المجني عليه إلى كبير العائلة مباشرة ويقص عليه ما حدث من اعتداء فما يكون من كبير العائلة أو القبيلة إلا أن يرسل في طلب الجاني إذا كان رجلا كبيراً أو في طلب والده إذا كان شابا مراهقا.

وعندما يحضر الجاني أو من ينوب عنه فأنه يقص على كبير العائلة أو القبيلة ما حدث.

وهنا يأتي دور كبير القبيلة الذي ارتضاه الجميع لحكمته ورجاحة فكره فإذا رأى أن الخطأ في جانب الجاني فأن الجاني يكون ملزماً بأن يضع نفسه تحت أمرة المجني عليه وأسرته ويلتزم الجاني بأن يذهب إلى المجني عليه إلى منزله ويعتذر عن فعلته ويطلب منه الصفح وعلى أن يكون ذلك في معية كبير القبيلة وعقلاءها ويلتزم الجاني بأن يحضر معه شاة أو أكثر وذلك لكي يتم ذبحها للحاضرين حتى يتناولون الطعام سويًا الأمر الذي يجعل من شأن الخلافات والضغائن قد أصبحت في حكم الماضي.

كما يلتزم الجاني بأن يضع نفسه تحت إمرة المجني عليه كما قلنا وذلك بأن يقول له لك ما تشاء واعترف أن ما وقع مني كان خطأً ولك مني ما ترى وفي أغلب الأحوال يتم الصفح وأن مجرد ذهاب الجاني إلى المجني عليه في منزله مع ذلك الرهط من الناس هذا الأمر يرضي المجني عليه ويرضي أسرته ويتم الصفح وتنتهي الخلافات.

وهذا الأمر يسمي عند عرب البادية «الهلوبة» والهلوبة هي أن يعترف الجاني بفعلته ويسارع إلى طلب الصفح من المجني عليه.

فهل هذه الصورة أفضل أم الالتجاء إلى قسم الشرطة والمحاكم أفضل وهل من الأفضل أن يتم حل الأمور والخلافات في إطار عائلي أم أن تحل الأمور داخل أقسام الشرطة أو المحاكم.

لا شك أن الالتجاء إلى العادات هو الأفضل لأن في ذلك التخفيف عن الجهات الأمنية وأقسام الشرطة والمحاكم ولا شك في أن احتواء الخلافات في جو الأسرة الواحدة بقدر المستطاع هو أمر مفيد للجميع وفيه يتم الحفاظ على الترابط الأسري والعائلي والقبائلي.

كذلك فإن لأقسام الشرطة أعباءها وللمحاكم احمالها في زمن أضحى فيه الناس يتناحرون بأسباب وبلا أسباب بالكيد تارة وبالزيف تارة أخرى والأغرب من ذلك أنك قد تجد صنف من الناس لهم هواية خاصة وهي هواية تحرير الشكاوي والبلاغات ضد الآخرين.

وبما أن أقسام الشرطة لا تستطيع أن ترد أي شخص يرغب في تحرير بلاغ ما فإن هذا الأمر قد أثقل كاهل أقسام الشرطة والمحاكم.

الأمر الذي يجعل من حل الخلافات والمنازعات في اطار العادات والتقاليد بالاحتكام إلى كبراء العائلة أو القبيلة هو أمر لا شك ذو فائدة عظيمة للجميع وهو أمر لا شك أكثر رقيًا وتحضراً.



صور التحكيم البدوي

التحكم أو الاحتكام للعادات والتقاليد البدوية هو من أرقى ما يتميز به المجتمع البدوي عن غيره من أي مجتمع في سائر أنحاء العالم.

ذلك لأن إنهاء النزاعات وفض المنازعات عن طريق الاحتكام إلى العادات والتقاليد يحفظ للمجتمع ترابطه وتفاعله باعتبار أن الطرفان قد ارتضيا ما آل إليه التحكيم وخرجا من النزاع كأن شيئًا لم يكن وذلك حفاظًا على وحدة العائلة وترابط القبيلة واحترام القبائل الأخرى وعدم تكرار الإساءة إليها أو إلى غيرها من القبائل الأمر الذي يحفظ للمجتمع البدوي القدر الكافي من التقدير والاحترام المتبادل بين أفراد القبيلة الواحدة وبين القبائل بعضها لبعض. ويتم حل المنازعات البدوية بالاحتكام إلى كبير العائلة كما ذكرنا إذا كان الخلاف حول أمر يتعلق بأفراد داخل العائلة أو القبيلة الواحدة.

أما إذا كان الأمر يتعلق بنزاع بين أفراد ينتمي كل منهما إلى قبيلة مختلفة فإن الأمر هنا يختلف.

وإليك بعض من هذه الصور :

أولاً :

إذا كان النزاع بين أفراد من قبيلة واحدة فإن الأمر لا يصل إلى درجة التعقيد لأن أي خلاف يتم تداركه في مناخ عائلي عندما يقوم كبير القبيلة بطلب الطرفين ويقض بينهما بما هو قاض فلا خلاف ولا اختلاف حول ما يقضي به كبير العائلة أو القبيلة ولزامًا أن ينصاع الطرفان إلى ما قضى به لأنه من المعروف سلفًا أن كبير العائلة رجلاً يتميز بالحكمة والمقدرة العالية على حل النزاعات ومشهود له بالحيادية والعدالة وقد اختارته القبيلة لكل هذه الصفات فلا مجال

للطعن في نزاهته أو التشكيك في حياديته.

ثانيًا:

إذا كان النزاع بين أفراد ينتمي كل منهما لقبيلة مختلفة فإن الأمر هنا يحتاج إلى شيء من التفصيل على النحو التالي:

وصورة ذلك ومثاله أن يحدث خلاف أو نزاع بين أفراد ينتمي كل منهما لقبيلة مختلفة ويشعر كل منهما أنه قد وقع عليه ظلم من الآخر.

أو أن يعتدي شخص على آخر أيًا كان نوع هذا الاعتداء.

فإذا هرع من وقع عليه الاعتداء إلى إبلاغ الجهات الأمنية سقطت عنه حماية التقاليد البدوية.

أما إذا هرع إلى كبير القبيلة وشرح له ما حدث هنا ينتهي دوره فما عليه إلا أن ينقل ما حدث بكل صدق وأمانة فليهنأ وليهدأ بالأ ويجلس إلى أهله وليترك الأمر إلى كبراء العائلة.

هنا يقوم كبير العائلة أو القبيلة بنقل هذا الأمر إلى القبائل الأخرى إلى أشخاص معينين في هذه القبائل مشهود لهم بالحكمة وقوة الشخصية وشدة الوقار وقديم الخبرة.

وعندما يتم رفع الأمر إلى الحكماء من أفراد قبائل محايدة فإنهم ينتقلون إلى القبيلتان كل قبيلة علي حدى ويقوم هؤلاء الكبراء أو كما يسميهم عرب البادية العقال أو المراضي.

والعقال تعني أنهم مشهود لهم برجاحة العقل.

والمراضي تعني أنهم مشهود لهم بانهم سيصلون بالأمر إلى أن يرضي الجميع ويتم حل أي خلاف إن شاء الله.

ينتقل هؤلاء الكبراء أو العقال أو المراضي إلى كل قبيلة على حدى يعرفون ما حدث مستمعون إلى المجني عليه وقبيلته وإلى الجاني وقبيلته.

ثم يجتمع هؤلاء المراضي ويعرضون الحل على القبيلتان وهذا الحل يكون عرضًا فقط ليس له صفة الالزام فقط عرض على القبيلتان فإن ارتضياه وغالبًا وفي جميع الأحوال يتم الانصياع إلى المراضي فينتهي بذلك الخلاف.

وقد لا ينتقل كبراء القبائل إلى القبيلتين وذلك لأن هؤلاء الكبراء أو المراضي أو العقال قد تكون أعمارهم طاعنة ولا يتمكنون من الانتقال بسهولة هنا تكون مهمة نقل العروض والحلول والأفكار من اختصاص أشخاص آخرين يسمون عند عرب البادية «السيارة».

والسيارة هم أكفاء أيضًا وذوي خبرة في هذه الأمور ولكنهم أقل سنًا من العقال. فإذا ارتضت القبيلتان ما عرضه العقال من حلول انتهى الأمر عند هذا الحد وتمت المصالحة وبدأ تنفيذ هذا الأمر أي الحل في صورة انتقال قبيلة المعتدي إلى قبيلة المعتدى عليه صاغرة وطالبة العفو والصفح وهو ما يسمى عند عرب البادية الهلوبة.

والهلوبة تعني أن يضع الجاني وقبيلته أنفسهم تحت إمرة المجني عليه وقبيلته.

وهناك جملة تقولها القبيلة المعتدية إلي القبيلة المعتدى عليها هي شرط الهلوبة وجوهرها وهي عبارة أن قبيلة المعتدي قد أتت إلى قبيلة المعتدى عليه صاغرة وأن ما تريده قبيلة المعتدى عليه على الرحب والسعة علي قبيلة المعتدي والعبارة باللهجة البدوية تقال هكذا

(يا جماعة احنا غلاطة وجيناكم والي تريدوها العمل بها)

هذه الجملة تكون بمثابة الدفع القانوني البليغ ولكنها هنا في اطار قانون العادات البدوية وأعرافها.

فيأتي دور قبيلة المجني عليه ويكون الرد هنا من اختصاص كبير العائلة الذي هو منوط به تمثيل القبيلة فيقول الرجل أن حضوركم إلى هنا أزال كل خلاف وبدد كل الأحقاد.

ويقوم الجميع من مقامهم كأن شيئًا لم يحدث.

أما إذا تم عرض الحل من عواقل القبائل المحايدة على القبيلتان المتنازعتان ولم يلاقي الرضا والاستحسان فهنا نجد الأمر يأخذ شكلاً آخر من أشكال التحكيم فلابد أن تنعقد الخصومة وانعقاد الخصومة عند عرب البادية صورته هو الميعاد.

الميعاد عند عرب البادية:

الميعاد هو الموعد الذي ضربه كبراء القبائل بالاتفاق مع القبيلتان المتنازعات وتم تحديد هذا الميعاد وأخطر به الجميع حتى يحضر الطرفان وكبراء القبائل ويعرض الطرفان فيه شكايتهم.

والميعاد هنا يعتبر بمثابة جلسة المحاكمة لأن من يتخلف عن الميعاد أصبحت شكواه كأن لم تكن وأن القبيلة التي لا تحترم الميعاد لن تتمتع بميزة انعقاد ميعاد آخر لعدم تقديرها للميعاد والذين حضروا فيه.

والميعاد البدوي يحضر فيه حكماء القبائل وعواقلها ويحضر فيه الطرفان المتنازعان.

ويبدأ الميعاد غالبًا بقراءة القرآن الكريم ثم يطلب إلى المجني عليه بأن يعرض شكايته فيأتي ليجلس وسط الحاضرين ويقص ما حدث ويستمع له العواقل والحاضرين بكل انصات واهتمام ثم يأتي دور الجاني فيلقى نفس الاهتمام أيضًا ثم يخلو المحكمين من المراضي والعواقل إلى أنفسهم ثم يعود الكبراء وقد رأوا حلاً لهذا الأمر فإن كان هذا الحل من وجهة نظر القبيلتان الحاضرين مرضيًا انتهى الأمر عند ذلك.

أما إذا كان الأمر يحتاج إلى بعض التعديل فقط يتم التعديل مرضاة للجميع إلى أن يصلون بالأمر إلى انتهاء الخلاف وفض النزاع حتى يرضا الطرفان المتنازعان وينتهي الأمر بانتهاء الميعاد الذي غالبًا ما يستغرق يومًا كاملاً من صباح اليوم وحتى إلى أن يجن الليل.

أما إذا كان الطرفان لهما طابع التشدد وأن الأحقاد والخلافات بينها جعلت الخصومة فيها أكثر تعقيداً وأن ما أتى به الميعاد لا يرضيهما هنا لا يكون أمام كبراء القبائل إلا عرض اليمين أي القسم.

واليمين أي القسم عند عرب البادية هو آخر درجة من درجات التقاضي فعندما يجد كبراء القبائل أنفسهم قد عجزوا عن تنفيذ ما رأوه على هذه الواقعة لم يكن أمامهم سوى تحليف اليمين أو قسم اليمين على المعتدى على أنه لم يأتي هذه الفعلة.

والقسم أو اليمين عند عرب البادية له شكل اجرائي معين إذا لم يتم في اطاره كان باطلاً لا يعتد به ففي أخر الميعاد الذي لم يرتضي نتيجته أفراد القبيلتان المتنازعات يتم تحديد يوم حلف اليمين وتخطر به القبيلتان المتنازعات ويوم حلف اليمين هو يوم الجمعة بعد صلاة الجمعة مباشرة وفي المسجد تجتمع القبيلتان المتنازعتان والمراضي وكبراء العائلة وذلك على أن يقسم المعتدي بالله العظيم ثلاث مرات على أنه لم يأتي هذه الفعلة ويشترط أن يصدقه القول عدد معين من أفراد قبيلته ويشهدون أنه من الصادقين وهؤلاء يسميهم عرب البادية «الذكاية» فإذا لم يذكوه أي يصدقوه القول بأن يقولوا نشهد بأنه من الصادقين لا يقبل قسمه ويرد عليه يمينه.

فإذا اقسم وصدقه العدد المطلوب من قبيلته يعتبر في عداد الصادقين.

وهنا يتم تغريم المجني عليه وقبيلته بالغرامة التي يراها الحاضرون وإذا لم يقسم

الجاني أمام الحاضرين على عدم صدور هذه الفعلة منه كان هو الجاني فعلاً ووضع نفسه تحت إمرة الحاضرين.

ويوم حلف اليمين قد لا يصل الأمر إلى هذا الحد فقد يتدخل البعض لدى الطرفين ويحذرهم من مغبة القسم ونتائجه وأن هذا القسم الغليظ ليس بالأمر الهين وأن النفس أمارة بالسوء وهنا قد ينصاع أفراد قبيلة المعتدي إلى الحل الذي أتى به الميعاد سابقًا.

وقد يحدث أمرًا آخر فقد يأتي أفراد قبيلة المعتدي بعد صلاة الجمعة من تلقاء أنفسهم ويمثلهم أحد الأفراد قائلاً يا أهل الخير لقد ارتضينا ما جاء به الميعاد ولا نريد الدخول في دوامة حلف اليمين.

وقد يأتي حكيمًا من قبيلة المجني عليه بعد صلاة الجمعة ويقول احترامًا لقدسية هذا المكان وتقديرًا للحاضرين وحقنًا للأحقاد فقد عفونا وتنازلنا عن حلف اليمين من قبل قبيلة المعتدي.

وهو ذلك تمامًا ما يدور في كنف حل النزاعات البدوية في اطار العادات والتقاليد البدوية.

فما أجملها من عادات وما أروعها من تقاليد تلك التي تقوى على السيطرة على المنازعات والخلافات فلا تصل بالأمر إلى الفتك بالآخرين أو زيادة الأعباء على الجهات الأمنية كأقسام الشرطة أو المحاكم وهو أمر لا شك محمود.

واليك مثالين لحل النزاعات البدوية عن طريق الاحتكام للعادات والتقاليد :

أولاً: نزاع داخل القبيلة

منذ فترة ليست ببعيدة كان هناك صديقان من عرب البادية لديهما قطيع من الإبل وبعد مرور فترة من الزمن قرر كل منهما أن ينفصل عن الآخر فاضطر الصديقان الشريكان أن يتقاسما القطيع.

أقتسم الشريكان القطيع دون أي خلاف ولكن ظلت هذه القسمة معلقة على أمر بسيط للغاية وهو أن هناك حوار وهو صغير الناقة هذا الحوار يدعي كل من الشريكان أنه صغير ناقته هو ووليدها وذلك لكثرة تردد الحوار على الناقتين معًا وظل الشريكان يصر كل منهما على ذلك فعظم ذلك الأمر واحتد هذا الخلاف فتم رفعه إلى كبير القبيلة.

ولما كان العواقل أو كبراء القبائل يمتازون بالحكمة وقوة البصيرة فقد عرضوا ذلك على كبير قبيلتهم وقالوا له أن الشركان يصر كل منهما على أن هذا الحوار وليد ناقته هو وذلك حتى يحاول كل منهما أن يدخله في قسمته.

فطلب كبير القبيلة إلى الحاضرين أن يأتوه بالطرفين وبأفراد القبيلة وأن يأتوه بالناقتين والحوار موضوع الخلاف وأن يذهبوا جميعًا إلى شاطئ البحر.

وفعلاً تجمع الجميع على شاطئ البحر وقد أحضروا الناقتين والحوار وحضر الجميع لمشاهدة ما سيحدث.

وجلس الشيخ كبير العائلة على رمال الشاطئ وطلب من الفتية ذوي البنيان القوي أن يدفعوا بالحوار إلى داخل مياه البحر وفعلاً أخذ الشباب يدفعون الحوار إلى مياه البحر بكل قوة.

وهنا حدث ما كان يتوقعه الشيخ كبير العائلة فقد اندفعت الناقتين خلف الحوار الصغير ولكن اندفاعهما لم يكن على درجة واحدة من القوة فإحدى هاتين الناقتين أخذت تخوض داخل مياه البحر حتى بلغت الحوار أما الناقة الأخرى فقد خشيت أن تطال قدميها المياه.

وهنا قال الشيخ كبير العائلة أعطوا الحوار لتلك الناقة التي غاصت خلف صغيرها فهو لها ولمالك هذه الناقة من الشركاء.

فهلل الحاضرين لهذا الأمر بما فيهم الشريك الذي كان يشك في أمر هذا

الحوار وعانق الأخير شريكه معتذراً له.

فيالها من حكمة وما أروعها من فطرة.

مثال آخر:

يقال أن رجلاً بدوياً كان يجلس على حافة بئر عميقة وكان هذا البئر بجوار شجرة وكان ذلك اليوم يوماً شديد الحرارة وأراد هذا الرجل أن يتوضأ استعداداً لصلاة الظهر فأدلى بدلوه إلى الماء ونال من الماء ما نال وتوضأ وعندما انتهى من ذلك ظل جالساً على حافة البئر فغلبته سنة من النوم فمر به رجلاً من قبيلة أخرى على بعد عدة مترات من البئر وقال له بصوت مرتفع «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته» فأفاق جالس البئر وقد فزعه ذلك فسقط في أعماق البئر فمات.

فما كان من قبيلة المتوفي إلا أن أرسلت للقبائل الأخرى تخطرها أن المتوفي هذا في ذمة قبيلة الشخص الذي مر به وألقى عليه السلام.

فأنعقد الميعاد وكان يوم الميعاد يحضره رهط كبير من الرجال من مختلف القبائل ذلك لأن الأمر يتعلق بوفاة شخص ووجود شبهة القتل.

انعقد الميعاد والميعاد عند عرب البادية يعني اليوم المحدد لنظر أمراً أو حل مشكلة بين القبائل.

حضر الجميع وبدأت اجراءات هذا الميعاد.

فأرسلوا في طلب الجاني فأتى الشخص الذي يعتبرونه أهل المتوفي هو سبب الوفاة اقترب هذا الشخص من الحاضرين وجلس دون أن يتحدث إليهم فقال له الشخص المنوط به إدارة الحوار وتوجيه الأسئلة إليه:

هل أنت الذي تشير إليك أصابع الاتهام

فقال الرجل نعم

فقال المتحدث ليس مستبعداً أن يحدث منك ذلك .

فقال له المتهم لماذا أيها الشيخ وهل لك سابق معرفة بي .

فقال الشيخ لا ولكن مسلكك يدل على ذلك .

فقال المتهم ما الذي صدر مني حتى جعلك تصل لهذا اليقين .

فقال الشيخ المتحدث كيف لك أن تأتي في حضور هذا الجمع الكبير من الرجال وتجلس هكذا دون أن تلقي عليهم السلام .

فقال المتهم والله ما فعلت ذلك إلا خشية مني عليكم .. فبلأمس كانت جريمتي أنني قلت لشخص السلام عليكم ورحمة الله فمات فصرت متهماً فيه واليوم خشيت أن اتهم في هذا الجمع الكبير .

فقال الحضور أبلغت أيها المتهم ولا شيء عليك وعفا عنك الميعاد والحاضرون .

هذا فعلاً ما يحدث في المجتمع البدوي بكل صدق وبكل أمانة بل وهناك الكثير والكثيره من العادات والتقاليد الرائعة والمواقف الأصيلة التي يذخر بها التراث البدوي والعادات البدوية فيالأصالتها من عادات ويالأروعها من تقاليد .





الباب السادس

مصطلحات بدوية



الباب السادس

مصطلحات بدوية



اللهجة البدوية هي لهجة فريدة من نوعها وذات خصوصية نادرة ولا يستطيع أن يتحدثها إلا البدوي وقد يعيش غير البدوي سنوات طويلة مع عرب البادية وبالممارسة وبالسماع قد يتعلم بعض عبارات اللهجة البدوية وقد يقوم بتعلم بعض وليس كل مفردات اللهجة البدوية ولكنه إذا ما خضع لاختبار الإلمام باللهجة البدوية فإنه سيحصل على صفر مع مرتبة الشرف لأن اللهجة البدوية لا يستطيع الإلمام بها سوى البدوي نفسه والغريب والعجيب أيضًا أن البدوي يستطيع أن يتحدث جميع اللهجات لمختلف بلدان الوطن العربي ولا يمكن لغيره القيام بذلك.

والأغرب من ذلك أن البدوي بما وهبه الله من الذكاء الفطري العجيب أنه لا يعجز عن فهم أي لهجة عربية لمختلف أقطار الوطن العربي فمثلاً اللهجة الجزائرية لا شك أنك تشاركني الرأي إذا ما قلت أن اللهجة الجزائرية هي أكثر اللهجات العربية صعوبة في فهم معانيها ومعرفتها.

فلو طلبنا من اثنان أحدهما بدوي لم يحصل على أي قسط من التعليم والآخر أستاذاً ويحمل درجة الدكتوراه في مجال الانثربولوجي.

فإذا جلس كلاهما في مناظرة وطلبنا من كلاهما تفسير حديث مواطن من الجزائر الشقيقة يتحدث باللهجة الجزائرية فإن البدوية سيتفوق على أستاذ الانثربولوجي بالرغم من أن البدوي لم يرى الجزائر ولم يسافر إلى وهران ولا حتى طهران.

وبالرغم من أن أستاذ الانثربولوجي غالباً ما يتشدق بالدراسات الأكاديمية والنظرية التي لا تعدوا أن تكون مجلدات راكدة وراقدة لا يمكن أن يستفيد منها

حتى تلميذ الحضانة لأنها لا تمت بصلة إلى أي واقع أو حقيقة.

وفي المجتمع البدوي توجد مصطلحات كثيرة وكل مصطلح من هذه المصطلحات له معنى يمكن أن يكتب عنه العديد من المؤلفات ولهذه المصطلحات تفسيرات لا يمكن أن تجدها إلا في المجتمع البدوي وعلى لسان عرب البادية.

وسنقوم بذكر بعض من هذه المصطلحات البدوية التي تقال باللهجة البدوية وسأقوم إنشاء الله بتفسير وشرح كل مصطلح حتى يمكنك فهم المعنى الذي يعنيه المصطلح وما يهدف إليه. وذلك على النحو التالي:

[١] النزالة:

النزالة هي تعني النزول ونقول نزل إلى الشيء أي ركن إليه ونزل ينزل نزولاً ونزالة عند عرب البادية هي المصدر للفعل ينزل وينزل بمعني يركن أو يهبط أو يحل يقال نزل زيد بالفندق أي حل به نزيلاً والنزالة عند عرب البادية هي بمعني يحل وينزل أي يحل ضيفًا على غيره.

والنزالة بالمعنى البدوي هي أن قبيلة بالكامل تقوم بالنزول على قبيلة أخرى أي تحل ضيفًا عليها وذلك عندما يقع من أفرادها أو من أحد أفرادها جريمة معينة وهي جريمة القتل.

فإذا ما قام شخص أو أكثر من أفراد قبيلة معينة بالاعتداء على شخص من قبيلة أخرى وقد نتج عن هذا الاعتداء أن مات الشخص المعتدي عليه فالعادات والتقاليد البدوية تحتم على قبيلة القاتل أن تنزل أو تحل ضيفه على قبيلة أخرى لتكون في حمايتها من اعتداء قبيلة القتيل فتقوم قبيلة القاتل بترك منازلها وأعمالها وصغارها ونساءها ولا يبقى بالمنازل سوى الصغار من الأطفال والعوائل من النساء.

وهذا الأمر لحكمة تراها العادات البدوية وذلك حتى لا يكون أفراد قبيلة

القاتل هدفًا لقبيلة القتيل وعرضة لمهاجمتها من قبيلة القتيل.

وأن تزول قبيلة القاتل على قبيلة أخرى يعتبر بمثابة رسالة إلى قبيلة القتيل بأن قبيلة القاتل قد أصبحت في حمايتها ولا يجوز لقبيلة القتيل مجرد الاقتراب من أحد أفرادها ومنهج العادات البدوية يجعل من المستحيل التعرض لأفراد قبيلة القاتل ما دامت في حمايتها.

هذا هو المعني القريب لمصطلح النزالة

ولكن المعنى الأبعد من ذلك هو أن مقصود النزالة هو إبقاء قبيلة القاتل بعيداً عن انفعالات قبيلة القتيل وحتى لا يصل الأمر إلى حد التناحر بين القبيلتين وحتى لا يضحى الأمر بمثابة حرب فالنزالة المقصود بها السيطرة على الانفعالات وترك فرصة للتفاوض وشرح الملابسات وفترة النزالة عند عرب البادية حسب مسمى كل قبيلة وذلك حتى يترك المجال لتدارك هذا الأمر بالطرق السليمة بعيداً عن التناحر والتشاحن والبغضاء.

وذلك بأن يتم عرض الدية وشرح ملابسات الواقعة وتقييم الواقعة وتحديد دور الجاني ولا يمكن لذلك كله أن يحدث في ظل المواجهة وترك القبيلتان في مواجهة بعضهما البعض.

وبالتالي فإن النزالة تعتبر بمثابة الهدنة بين القبيلتين وذلك تمهيداً للوصول إلى أفضل الحلول حفاظًا على الأرواح والأموال.

وتستمر النزالة حتى يعود الوئام بين القبيلتين وذلك حقنًا للدماء والإبقاء على القدر الكافي من الاحترام المتبادل بين القبائل وذلك في اطار العادات والتقاليد البدوية.

[٢] الخطا :

الخطا عند عرب البادية يعني الخطأ والخطأ بالمعنى اللغوي بالهمزة على الألف

أما الخطا عند عرب البادية فمنطوقه بدون الهمزة فيقال الخطا والخطأ هو كل فعل وقع من المرء دون قصد وللخطأ عند عرب البادية مفهوم معين وهو أن الشخص الذي وقع منه الفعل دون مقصد وقد نتج عن هذا الخطأ ضرراً بالآخرين.

فإن العادات البدوية لا تجرم هذا الفعل وذلك لأن التقاليد البدوية لا ترى قصداً جنائيًا في مثل هذه التصرفات التي وقعت عن طريق الخطأ فعلى سبيل المثال إذا ما قام قائد سيارة بصدم شخصًا على سبيل الخطأ ونتج عن ذلك إصابة أو موت المجني عليه.

فإن العادات والتقاليد البدوية تحتوي هذا الأمر ويتم تداركه في اطار القبيلة أو القبائل وتكون الدية والتصالح والمصالحة والمصافحة ولا شيء في ذلك ولا شيء بعد ذلك.

وذلك لكون الفعل قد حدث بطريق الخطأ إلا مقصود.

ومجمل القول أن التصرفات التي تحدث بشكل الخطأ لا تجد أي صعوبة في أن يتم تداركها أو حلها في إطار التقاليد البدوية دون أي أحقاد أو ضغائن ودون أن نترك أي أثرًا سلبيًا بين أفراد القبائل.

[٣] مسكة بنت العم:

الإمساك هو القبض على الشيء أو السيطرة عليه يقول مسكت الشيء أي حبسته ويحبس بمعني حجب الشيء أو منعه والسيطرة عليه.

وابنة العم هي ابنة شقيق الأب

فإذا ما كان ابن العم يرغب في الزواج من ابنة عمه كانت له مهما حدث وسواءًا وافقت البنت أو لم توافق وسواءًا كان ذلك نزولاً عن رضا والدي العروس أو بدون رضاهما ذلك لأن العادات البدوية تجعل من ابن العم الشخص الأكثر حقًا في الزواج من ابنة عمه ولا يحق لغيره أن يتزوجها إلا إذا كان ابن عمها عازفًا

عنها ولا يرغب في الزواج منها.

وكم من فتيات فاتهن سن الزواج بسبب ذلك الأمر فقد يتقدم ابن العم للزواج من ابنة عمه إلا أنها قد لا ترغب في هذا الزواج أو قد يرفض والدها ذلك الأمر لسوء سلوك الخطيب أو لعدم الارتياح له فما يكون من ابن العم إلا أن يعترض طريق كل من يتقدم لخطبة ابنة عمه ويخبره بأنه يريدها لنفسه ويطلب إليه إلا يعود إلى ذلك مرة أخرى.

وفي العادات البدوية أعراف لا يمكن تجاوزها أو الالتفاف حولها.

وهناك مثل يقول «ولد عمها ينزلها من على الكرمود»

ومعنى ذلك أن لدى ابن العم الصلاحية والحقوق التي تمنحها له العادات البدوية من أن يقوم بانزال العروس من فوق الكرمود أي الهودج ومعنى ذلك أن ابن عم الفتاة العروس يمكنه أن يعترض طريق زفافها ويعود بها إلى بيت والدها.

وهذا الأمر لا يزال راسخًا في العادات البدوية حتى وقتنا هذا فإذا ما ذهب ابن العم أو والده أو أرسل ابن العم أو والده إلى أهل الخطيب وطلب منهم أن يمتنعوا عن الاستمرار في الخطبة كان لهم ذلك ويعتذر لهم الخطيب عن ذلك وكذلك أسرته وعائلته وذلك لأن هذا النوع من العادات أمر متفق عليه بين جميع أفراد القبائل البدوية.

وأرى أن هذا الأمر لا يحالفه الكثير من الصواب ذلك لأن ابن العم قد لا يكون الشاب الذي تتمناه الفتاة لنفسها وترغب في العيش بجواره فأرى أنه لا يجوز لابن العم أن يقضي حياته مع فتاة هي له غير راغبة باعتبار أن الزواج منه قد فرض عليها من قبل العادات والتقاليد.

والأمر لا يتوقف عند هذا الحد بل وأن ابن العم قد يتزوج من فتاة ليست ابنة عمه وينجب منها الأولاد فإذا ما تقدم أحد إلى ابنة عمه التي لم توافق عليه ولم

ترغب في الزواج منه أو قد تم رفضه من قبل أهلها فما يكون من ابن العم إذا تقدم إليها خاطبًا إلا أن يعترض طريقه ولا يمكن للخطيب أن يجرؤ على الاستمرار في ذلك حتى لا يحدث أي نوع من النزاعات أو المشاحنات بين القبائل وتصل درجة العناد في هذا الأمر إلى أن يقول ابن العم المقولة المعروفة عند عرب البادية أنه سيجعلها «عشبه حد» وعشب الحد هو العشب الذي ينبت في المناطق على الحدود بين الأراضي فلا يقبل أحد على خلعها أو نزعها فتظل هكذا طوال الحياة ومعنى ذلك أن ابن العم سيجعلها مثل هذه العشبة لا تنزع من منزل أبيها إلى دار الزوجية أبدًا. وتظل ابنة العم هكذا حتى يطلق ابن العم سراحها.

وهناك الكثير والكثير من الفتيات البدويات قد حرمن من الزواج بسبب هذه العادة والتي اعتقد أنها ليست صائبة دائمًا لأنها تؤدي إلى الإضرار بكثير من الفتيات وتتسبب في حرمانهم من الزواج وهو أمر غاية في الخطورة فأرى أنه يجب تهذيب هذه العادة أو العزوف عنها.

[٤] الضريف أو الضريفة:

الضريف أو الضريفة هو اسم للرجل أو المرأة ذوي المقدرة على تشخيص بعض الأمراض وعلاجها فقد نجد في المجتمع البدوي أشخاص ليست لهم أي دراية بأمور الطب ولم يلتحق أحد منهم بكلية الطب ولم يشاهد حتى أسوارها عن بعد.

ومع ذلك نجد أن لديه مقدرة فائقة على تشخيص الأمراض وعلاجها فقد نجد ضريف أي خبير بعلاج العظام كالكسور وخلافه وقد نجد شخص ذو مقدرة فائقة في العلاج الطبيعي وآخر يستطيع علاج مرض الصفراء في عشر دقائق وأشخاص لديهم المقدرة على الإرشاد على علاج أمراض العقم والعجز الجنسي وتساقط الشعر وتجميل الشعر وعلاج الكثير من الأمراض بإذن الله دون أي آثار جانبية والغريب أن أيًا من هؤلاء لم يلتحق بأي جامعة أو حتى معهد تمريض.

وقد قرأت منذ فترة مقال لكاتب فرنسي يقول فيه:

«إذا مرضت العين فما ذنب الأذن»

ويقول الكاتب أن عرب البادية في مرسى مطروح سبقوا الصينيين في العلاج بالإبر.

ذلك لأن عرب البادية كانوا ولا يزالون في بعض المناطق إذا شعر شخص بالام في العين قاموا بثقب أعلى الأذن بواسطة الإبرة وذلك بتمرير الخيط منها وقد ثبت أن ذلك الأمر يؤدي إلى علاج العين ذلك لأن هناك وريد يصل بين العين وأعلى الأذن وأن الشخص المريض يشعر بأن الألم قد تحول من العين إلى الأذن فيكون التركيز على ثقب الأذن فتتعافى العين.

وقد ثبت أن عرب البادية قد سبقوا الصينيين في هذا الأمر الأكثر وسائل سرعة في علاج العين.

النضارة أو النظاره:

ومعنى هذا المصطلح هو أنه إذا ما وقع اعتداء من أحد الأفراد على آخر من قبيلة أخرى وكان الاعتداء شديداً بحيث أنه قد سبب للمعتدي عليه أضراراً شديدة وأن احتمال وفاة المعتدى عليه أو حدوث عاهة مستديمة به هو قبيل الأمر الوارد.

وهنا يتم مناضرة أو مناظرة المعتدي عليه سنة كاملة والنضارة أو النظارة هي بمعنى أن ينظر في هذا الأمر لمدة سنة كاملة فإذا ما توفي المعتدى عليه في خلال العام الذي وقع فيه الاعتداء كان المتوفي في ذمة المعتدي باعتبار أن الوفاة ناتجة عن اعتداءه وإذا ما نتج عن ذلك عاهة مستديمة في خلال سنة الاعتداء كانت ناتجة عن الاعتداء ولزم ذلك الأمر المعتدي وقبيلته وكان على عاتقهم ما يكون.

[٥] الكبـارة:

الكبارة هي أن يقوم الميعاد البدوي ومحكميه بتغريم المعتدي مبلغ من المال نتيجة هذا الاعتداء « وذلك اكباراً للحاضرين والمعتدى عليه وأن يعتذر للمعتدى عليه ويقدم له الغرامة التي قدرها المحكمين والميعاد البدوي للمعتدى عليه إكباراً له وللحاضرين.

وغالبًا مايتنازل المعتدى عليه عن هذه الأموال لأن الأموال والتعويض غير مقبول عند عرب البادية.

وأن مجرد عرض الكبارة أو الغرامة يرضي المعتدى عليه فيتنازل عن ذلك اكباراً للحاضرين وتقديراً لصنيعهم.

[٦] الوشيحة:

الوشيحة هي شاة ترسل مع العروس في يوم زفافها وتكون عبارة عن هدية من والدها إلى المنزل الجديد وهي عبارة عن شاة من الضأن ترسل مع العروس وهو أمر يعتبر من الطقوس البدوية في الزواج وهو تقليد قديم ولا يزال حتى الآن.

[٧] الونيسة:

الونيسة هي شاة تذبح عند وفاة أحد الأشخاص وكان عرب البادية قديمًا يذبحون هذه الشاة ويعتبرونها نوعًا من أنواع الصدقة تقدم للحاضرين لتناولها حتى تكون صدقة يستأنس بها المتوفي وتكون بمثابة الصدقة التي تنفعه عند الموت والونيسة بمعنى المؤانسة أو الاستئناس وذلك على ألا يأكل منها أهل الميت شيئًا ويأكل منها الحاضرين فقط وهو تقليد قديم ويندر العمل به في وقتنا هذا.

ويوجد الكثير والكثير من المصطلحات البدوية التي تحتاج إلى مجلدات لكتابتها والتعبير عنها لأن المجتمع البدوي والتراث البدوي مليء بكل ما هو رائع وغريب وأصيل وطريف ولكنه في مجمله هو الأصالة بعينها.



الباب السابع
أمثلة بدوية

الباب السابع

أمثلة بدوية



المجتمع البدوي مجتمع له خصوصية معينة وبالتالي فإن له حياة ونمط وأسلوب وشكل معين.

والأمثلة البدوية لا يمكن أن يفهمها إلا من يتحدث اللهجة البدوية أو يعرفها وإليك بعض من هذه الأمثلة:

وسأقوم بشرح معنى هذه الأمثلة حتى يمكن لك أن تتعرف عليها وتتبين جمالها وروعتها:

[١] الغاوي عما والزاهد أطرش:

والمعنى أن الغاوي أو المحب أعمى والمقصود أنه أعمى لا يرى ألا الإنسانة التي أحبها فإذا كانت جميلة فهو لا يرى غيرها وإذا كانت ليست كذلك فهو لا يرى سواها فهي في عيونه كل شيء فهو أعمى لا يرى سواها.

والزاهد أطرش أي أن من زهد في شيء فإن أي محاولة لرده لهذا الشيء سيكون نتيجتها الفشل ذلك لأنه لا يسمع لأحد فقد زهد هذا الأمر وصم أذنه عن أي نصيحة وأصبح كالأطرش لا يريد أن يتحدث معه أحد بخصوص هذا الأمر.

[٢] الدم غطا العيب:

والمعنى أن أي شخص قد وقعت عليه إهانة من شخص آخر أو تم الاعتداء عليه من قبل شخص آخر بالقول أو غيره فإنه بذلك يكون معتدى عليه وله حق قبل المعتدي.

ولكنه إذا ما سارع هو بالاعتداء على الذي اعتدى عليه وأحدث به إصابة

نتج عنها نزول الدم فإن الدم هنا يغطي أي عيب أو أي اعتداء وبالتالي فإن من تسبب في إصابة غيره ونزل الدم منه كان هو المعتدي مهما وقع عليه من ظلم أو اعتداء قبل أن تصدر عنه هذه الفعلة.

[٣] شهر ما يخصك ما تعد أيامه:

والمعنى أن الشهر الذي لا يعنيك لا تجهد نفسك في عد أيامه والمعنى أن من تدخل فيما لا يعنيه سمع ما لا يرضيه أو أن الإنسان لا يجب أن يشغل نفسه بأمور هي في الأصل بعيدة عنه ولا تعني له شيئًا وليس لها أي علاقة فيما يتعلق بحياته هو.

[٤] الديك مقيل على الرحا:

وهذا المثل يعني أن الأمر قد وصل بشخص ما إلى أقصى درجات الفقر ذلك لأن الرحا هي أداة لطحن الحبوب وأن الديك هو أكثر الطيور عشقًا للحبوب وأن القيلولة هي من أوقات عمل الرحا

فإذا قلت أن الديك يرقد أو يقيل على الرحا يعني ذلك أن الأمر قد بات في غاية السوء.

[٥] أم الهبلة تموت وهي تعض في شواربها:

وهذا المثل يعني أن الأم التي لديها فتاة هبلة أو معتوهة فإنها تقضي حياتها وهي تقوم بعض شواربها أي شفتيها كلما تصرفت البنت تصرفًا غير لائق أمام الناس.

[٦] الي في عقلك يخرب وجابك:

وهذا المثل يعني أن ما يدور في باطن العقل يؤثر على إجابة المرء المتحدث ويحضرني في ذلك أن رجلا أصم لا يسمع وله زوجة صماء وابنة صماء

هذا الرجل خرج ذات يوم فوجد جملا يدور في الصحراء ليس له مرافق فأخذ الجمل وراح يستخدمه في حرث الأرض وهو يخشى أن يشاهد ذلك صاحب الجمل إذا مر به.

وبعد فترة وبينما هو يحرث بالجمل مر به رجل فألقى عليه السلام وهو يقول السلام عليكم ورحمة الله وبركاته مبروك الحرث إنشاء الله.

فما كان من الرجل الاصم إلا أنه قال له سامحني سأكمل حرثي وأعيده لك. وهذا يعني أن إجابة الرجل خرجت منه ظنًا منه أن هذا الرجل هو صاحب الجمل لأنه يتوقع مروره في أي لحظة وهو ما يعني المثل الذي يقول الي عقلك يخرب وجابك.

وعندما عاد الرجل إلى المنزل قص على زوجته الصماء ما حدث فقال لها لقد مربي اليوم صاحب الجمل وطلبت إليه السماح لاكمال الحرث فقالت الزوجة الصماء ردًا عليه والله لقد تعبت من اعتنائي بالأغنام ولم أستطيع إعداد الطعام وسأخبر ابنتك أن تقوم هي بذلك.

فذهبت الزوجة الصماء إلى ابنتها الصماء أيضًا وقالت لها أعدي الطعام لوالدك فقد عاد متعبًا وأنا كذلك فردت الفتاة الصماء عليها قائلة كما تساءون الراعي راعي أغنامكم وإذا أردتم أن تزوجوه لي فأنا موافقة.

فلو نظرت إلي جميع هذه الاجابات لوجدت أنها إجابات كانت بالعقل الباطن وأنها أثرت على إجابة الأشخاص دون أن يتبصروا ما قيل لهم وهذا ما يعنيه المثل القائل الي في عقلك يخرب وجابك.

[٧] الي ما ياكل بأيده ما يشبع:

وهذا المثل يعني أن من لا يقوم بتناول الطعام بيده لا يمكنه أن يشعر بالشبع وهذا هو المعني اللغوي للمثل ولكن المعني المقصود هو أن من لا يقوم بالشيء

بنفسه لا يمكنه أن يقتنع به أو يشعر بالراحة بالاعتماد على غيره في ذلك.

[٨] اضربه في رأسه طير شلايكه:

وهذا المثل يقال سخرية من الناس الذين يخلطون بين الأمور ومثال ذلك أن تحدث شخص عن الجغرافيا مثلاً فيحدثك عن مصارعة المحترفين.

ويقال اضربه في رأسه أي أن الشخص عندما يضرب في رأسه فما الداعي إلى أن تتطاير أحذيته وهو مقارنة بين أعلى الشخص وهو الرأس وأسفله وهي أحذيته أي أنه شتان ما بين الأمرين كما هو شتان ما بين الجغرافيا ومصارعة المحترفين.

[٩] ايش جيب تايلند لسيدي براني:

وهذا المعنى هو نفس المعنى الذي يقصده المثل السابق وهو أنه هناك فرق كبير ما بين تايلند التي تقع في أقصى الشرق من قارة آسيا وسيدي براني التي تقع في محافظة مرسى مطروح غربًا.

[١٠] الربعية تعلم أمها الرعية:

وهو مثال يعني السخرية من الصغار الذين يحاولون أن يشعروا من يكبرونهم بأنهم أكثر دراية منهم بأمور الحياة.

ومقولة الربعية تعلم أمها الرعية هو أن الربعية هي صغيرة الماعز فهل يمكن للربعية صغيرة الماعز أن تقوم بتعليم أمها وإرشادها إلى الرعية أي إلى المرعى ولاشك أنه أمر يدعو إلى السخرية.

[١١] الي يحبك يناكشك:

وهذا المثل يعني أن من يود غيره ويحبه يحاول مشاغبته حتى يفسح المجال للمزاح معه.

[١٢] قولة حت تلم الإبل:

وهذا المثال يعني أن من أهان أي فرد من أفراد قبيلة معينة كأنه أهان القبيلة كلها تمامًا.

[١٣] الي ما ينقد روحه ينقدوه الخلق:

والمعنى أن ما لا ينتقد نفسه ويضع نفسه موضع الأشخاص ذوي التصرفات السوية يكون عرضة لنقد الآخرين.

وهناك الكثير من الأمثال البدوية التي لا حصر لها والتي تحتاج إلى صفحات وصفحات لكتابتها وشرح المقصود منها وما بها من معاني رائعة وساحرة.

تم بحمد الله

عبد المالك الشرصي

المحامي

الإسكندرية - جمهورية مصر العربية

رمضان ١٤٢٥ هـ - أكتوبر ٢٠٠٤ م



فهرس